ثرثرة فوق سقف العالم ؛10
الحماقة الكبري
أجواء مضطربه

لاشك ان الاقبال الحماسى لأبو عبد الله على جلال آباد واستنفار كل أفراد تنظيم القاعدة وحشدهم هناك, كل ذلك اشعل نيران الحماسة لدى عرب بشاور وتوافدوا الى هنك افواج أثر أفواج.
وصار أمثالى من المجفين فى المدينه أقليه لا وزن لها, رغم أننى وجدت لنفسى عدد من الاصدقاء المرجفين والمثبطين من أمثالى فاكتسبت عددا من الاصدقاء الجدد, لكن نظرات الشك والعربيه من جانب المخلصين ظلت تجلدنى مثل السياط.
وتزايد عدد القتلى العرب بشكل لم يسبق له مثيل منذ شارك العرب في جهاد أفغانستان, بعد الشهداء كانوا متزوجين وأحدهم كان له أسرة كبيره مكونه من زوجه وثمانية أو تسعة اطفال.
فكنت اصطحب زوجتى كى تقدم التعازى للنساء والأرامل.
فى أحد تلك المناسبات الحزينه, بينما ان منتظر على جانب الطريق فى سيارتى والنساء تتوافد على بيت أحدى الثكلى قابلت الصديق " محمد شوقى الاسلامبولى" وكان قد تعارفنا فى العام الماضى.
وقلت له بضيق وحزن أنه من غير المناسب للعرب أن يشاركوا فى معركة جلال آباد فهناك أخطاء كثيره وسوء نيه متعم سنكون ضحيتة."
فابتسم بهدؤ وطيبه وقال بنبره خافته لكنها جازمه "إن الصحفيين, والسياسيين يتكلمون بالظن وليس لديهم دليل شرعى."...
فتوقفت فى الحال وغيرت مجرى الحديث حتى أقبل نحونا شاب قوى البنيه طويل القاده كثيف اللحية يمشى بتواضع وثقه حتى وقف الى جانب السيارة حيث كنا جالسين بداخلها نتحدث ثم ألقى التحية, فقام "محمد شوقى" بتعريف كل من بالآخر واشار إليه قائلا : الاخ ابو الايسر -- على عبد الفتاح -- وكنت قد سمعت الاسم سابقا وعلمت انه امير الجماعة الاسلامية فى محافظة المنيا فى مصر, وكان يعتزم السفر الى جلال آباد للمشاركه فى الجهاد هناك, فتحاشيت الحديث فى السياسة واقتصر حديثنا على المجاملات التقليدية.
وبعد أيام قليله كنت وعدد من العرب فى طريقهنا الى بيت "محمد شوقى" لتقديم التعازى له فى استشهاد ابو اليسر الذى قضى نحبه بشظيه من قذيفه هاون فى جلال آباد فى يوم الثلاثاء 6 رمضان 1409 -- 11 ابريل 1989.)
ثم ان كتابات الدكتور عبد الله عزام فى مجله الجهاد عن الشهداء العرب بإسلوبه الادبى المؤثر المدعم بالآيات والاحاديث والاشعار المشنوع بصورة بعض الشهداء فى حال شهادتهم أو فى حياتهم, مع مقطتفات من وصايا بعضهم, كل لك كان له بالغ الاثر فى إثاره مشاعر الشباب المسلم خاصه في الجزيرة العربية والخليج, فتعاظمت افواج المتطوعين للجهاد بالنفس والمال, وقد ذخرت مجله الجها د وغيرها من المجلات العربية فى بشاور بدعوات التبرع بالاموال, مع التركيز على قصص الشهداء العرب التى كانت اكثر الابواب شعبيه لدى الشباب المسلم عامة, والعرب خاصه, حتى أن اكثرهم لم يكن يقرأ غيرها, فإزداد الزحام فى جلال آباد وكثر عدد الشهداء.
تقول مجله الجهاد (عدد ابريل/ مايو 89) "... فقد ضرب هذا الشهر رقما قياسيا فى الشهداء خاصه بالنسبه للأخوة العرب, فقد أشر العقرب حتى اليوم على العدد34 والمعارك مازالت محتدمه حول جلال آباد وخوست...
؛... وابواق سيارات الاسعاف مازالت محتدمه حول جلال آبا وخوست."...
والبريق وما بين عشيته كل يوم أوضحاها صرنا نودع عزيزا أو أحبه يمضون حاملين معهم مهجن وقلوبانا" (صفحة 28.)
ولا أدرى سبب حشر إسم مدينه خوست هنا فقد كان اجواؤها عادية وليست "محتدمه" بل أن حقانى قد أرسل قوة لابأس بها من رجاله لدعم موقف المجاهدين فى جلال آباد -- وسوف نعود الى ذلك فى مكان آخر -- ولكن الكتاب (د. ابو محمد) كأنما أراد أن يصرف النظر عن حقيقه أن جلال آباد وحدها قد أكلت كل ذلك العدد الكبير في العرب فى أيام قلائل, وكان جديد "المرجفينى" -- فى بشاور يطالب بفتح ملف تلك المعركة ودراسه ملابساتها, ويطالب ايضا بإبعاد العرب عنها -- مجلة الجهاد فى تتكلم عن أحد الشهداء -- والكاتب هو الدكتور

عبدالله عزام الذى كنى نفسه فى المقال بالدكتور ابو محمد فيقول "صفوة الدعاة قد قبضوا, وخيرة القوم قد ذهبوا فى هذا الشهر, وجلال آباد تقول هل من مزيد لوقود معركة الايمان, ألم ترتو أرض ننجرهار من دماء الأطهار, أما يكفيك ما أبتلعت من جثث الأطهار؟ كفاك... كفاك... فقد أخذت فلذات الاكباد ومهج الارواح, رحل أبو مسلم... ثم تبعه عابد... وبعد عابد بيوم واحد إختطفت يد المنون علما ثالثا وهو ابو اليسر (على عبد الفتاح...) صفحة 26.

وفى الصفحة المقابله تكلم الدكتورر عزام عن الشهيد صخرى -- صديقنا فى بارى الى حمل عبد الرحمن على ظهره كي يخرج به من وسط حقل الغام فوق جبل تورغار... ولكن عبد الرحمن استشهد... وكذلك صخرى قتله لغم أيضا فى جلال آباد, وقتل معه فى نفس اللحظه صديقاه عابد وسراقه, لم يكن لغما واحدا بل كن لغما وتديا مرتبط بعدة ألغان تفجر معه فى نفس الوقت, ويقال ان صخرى هو الذى اشتبكت قدمه بسلك الاعثار المتدلى من اللغم الوتدى وكان يحمل على كتفه قاذف RBG محشو بقذيفه انفجر هى الاخرى فى وجه صخرى.

فى الحقيقه أسلوب الدكتور عبد الله فى تناول الاحداث كان يقتلني... كان ذكيا ويعرف كل ما يقال وما يدور حوله لماذا هذا الاصرار علي لى الحقائق, أى معركة ايمان تلك التى كانت تجرى فى جلال آباد؟

كنت أراه رحمه الله شريكا فى الجريمه, وبعد مصرع صخرى لم أعد أتمالك نفسى وصرت اكثر عصبيه, امام عدد من الزوار من المجاهدين العرب كانوا فى زيارتى بعد صلاة التراويح فى رمضان فقلت: إن ما يجرى فى جلال آباد هى جريمة كامله الاركان تسفك فيها دماء المجاهدين العرب, وكل من يشجع الشباب على المشاركه فيها إنما هو مسئول عن تلك الدماء والارواح المهدره, ولو كان الامر بيدى لحاكمت أبو عبد الله, وأبو عبيده وأبو حفص أمام محكمة عسكرية وحكمت عليهم بالإعدام."

فطارت تلك الكلمة فى أرجاء الارض الاربعة, وسرت سريان النار الهشيم حتى وصلت الى المتهمين" الثلاثة.

وقد تأثروا من ذلك ولكن اكثرهم تأثيرا كان أبو عبد الله الذى لم تكن بينى وبينه معرفه مباشره قوية, بعكس أبو حفص وأبو عبيده فقد كانت علاقتى بهما متينه للغاية مهما كانت اختلافات ووجهات النظر, لذا فقد فهما ما أعينه ونسيا ما قلت بسرعة.

بلغ بى الضيق مداه, وفى 13 رمضان 18/4/89 سافرت الى أبو ظبى لتجديد إقامتى هناك والابتعاد عن اجواء بشاور وجلال آباد بعد أن ضقت بهما ذرعا.

فى أبوظبى وجت ان أصداء معركة جلال آباد هناك ضخمة ومشوشه, فى جريده الإتحاد سألونى: ماذا يحدث هناك؟ وطلبوا منى أن اكتب شيئا للتوضيح فهم أيضا فقدوا القدرة على فهم ما يجرى أو تعليل ما يسمعوه, هكذا فجأة يفشل المجاهدون أمام جلال آباد.

وقد كان متوقعا أن يدخلوا كابل فاتحين فى اعقاب انسحاب السوفييت؟ لماذا ؟... وما هى الاسباب؟... وهل هو الفشل النهائى للمجاهدين؟

نفس الاسئله سمعتها من أصدقائى هناك من المهتمين وزملاء المهنه ما بين محايد أو شامت معادى.

كتبت لهم مقالا بعنوان: معركة جلال آباد... هل هى حاسمة؟ وكنت اسعى الى البرهنه على أن تلك المعركة وإن لم تسفر عن فتح جلال آباد إلا أنها لا تعنى فشلا نهائيا للمجاهدين... وهذا هو نص المقال.

معركة "جلال آباد" هل هى حاسمة؟

- نظام كابل لا يأمل فى النصر ولكن يطمح فى فترة صمود كافيه حتى تطبق اتفاقيه جنيف.
- تشكيل حكومة قوية المجاهدين ركيزه اساسية للإنتصار العسكرى واى انتصار بدون حكومة قوي مهدد بالإنتكاس.
- لماذا "جلال آباد" وكيف يكون الإنتصار فيها ممكنا؟

ماذ يحدث فى جلال آباد؟... سؤال يتردد فى العالم كله ويحمل فى طياته علامات الشك فى امكانات المجاهدين على حسم القتال الدائر فى افغانستان لمصلحتهم بعد تسع سنوات من القتال البطولى ضد السوفييت فى حب عمرها اكثر من عشر سنوات ضد النظام الشيوعى الافغانى.

ولاشك ان حملة جلال آباد هى اكثر المعارك اثارة للجدل فى تاريخ الحرب الافغانية, وتأتى الحيرة من التناقض بين الإنتصار السريع للمجاهدين وفتح الطريق الى جلال آباد من الحدود الباكستانية عند نقطة "طورخم" وهى

المدخل الى افغانستان على الطريق الدولى الذى يربطها بباكستان مارا بجلال آباد ثم كابول العاصمة, وبين الجمود الذى اصاب العمليات عندما وقف الجاهدون على اعتاب المدينه يقاتلون شبرا شبر ضد الاطواق الدفاعية

وزاد في البلبله والإضطراب التى عمت المراقبين فى الخارج تلك التصريحات النارية لزعماء التنظيمات الافغانية عن سقوط وشيك للمدينه خلال أيام, وعن عزمهم جعلها عاصمة موازية لكابل ومركزا لحكومة المجاهدين الإنتقاليه.

فهل كانت هذه التصريحات مبنيه على دراسة واقعية للموقف العسكري, أم كانت سباقا اعلاميا غير محسوب العواقب من جانب قادة التنظيمات السبعة الذين تولوا بأنفسهم المناصب الرئيسية فى الحكومه الانتقالية للمجاهدين؟

ثم ما هى النتائج المتوقعه بعد ذلك؟... هل ينجح المجاهدين فى فتح جلال آباد... أم يتحولون عنها الى مدنيه أخرى؟ أم يتخلون عن محاولات فتح المدن بسرعة الى استراتيجيه اكثر بطئا فى العمل ولكنها اقل مجازفه لأنها تتناسب مع امكاناتهم العسكرية؟-- ام ان هناك شيئا آخر مثل ما يدعيه البعض من أن فشل المجاهدين فى الاستيلاء على المدينه يعنى فشلهم حتما فى الاستيلاء على كابل وهذا يعنى اثبات نظرية ان الحل العسكرية للمشكله اصبح غير ممكن فلا بد بالتالى من التفاوض وفرض حل سياسى يتمثل فى حكومه موسعه تشمل الاطراف الرئيسيه فى الصراع وهم المجاهدون والشيوعيون ثم الملكيون وغيرهم؟... هذا ما ينادى به نجيب فى كابل وترحب به القوى الدولية الكبرى.

وبعنى آخر هل تصبح معركه جلال آباد من هذا المنطلق اخراج عسكرى لحل سياسى دولى الامر الذى قد يعنى ان المعركه بنفسها تحركت بفعل قوى دولية خارجيه على نحو ما المحت اليه صحيفه نيويورك تايمز الامريكية.

فالموضوع اذن يتصل بمستقبل افغانستان كدولة, وصورتها القادمة خلال عدة عقود من الزمن, ويحتاج الى نظرة متفحصه قدر الإمكان للقوى المتصارع على الحلبه الافغانية.

اولا : القوى الش--يوعية

لقد اتم الجيش انسحابه من افغانستان فى الخامس والعشرين من فبراير الماضى. ولم يكن هناك شك حتى عند السوفييت انفسهم فى ان نظام كابل غير قادر على الإستمرار فى حكم البلاد, فما عجز السوفييت انفسهم عن أن يفعلوه هو اخضاع الشعب الافغانى -- مستخدمين فى ذلك اداتهم الجباره -- الجيش الاحمر -- ما كان يمكن للنظام الضعيف فى كابل ان يفعله.

فلماذا وافق السوفييت اذن على الانسحاب؟

طبعا الاسباب لذلك كثيرة وعلى رأسها بالطبع المقاومه الباسله للشعب الافغانى الذى لم يترك شكا لدي العالم بأنه لن يقبل الإحتلال السوفييتى مهما كلف الامر, وهذا التصميم هو مفتاح النجاح الافغاني مهما حاولت آلة الدعاية العالمية وبغير إنصاف أو موضوعية ان تنسب النصر التاريخى للأفغان على أنه نتيجه الدو الامريكى هناك.

وكأن شعبا بأسره يمكن ان يصبح عميلا لحكومة اجنبيه -- أو أن حركات التحرر فى العالم من الجزائر الى فيتنام لم تستثمر التناقضات السياسية فى العالم لكى تكتل خلفها جبهة مؤيده لقضيتها, او أن الجبهة المؤيده يمكن لها ان تدفع شعبا للنجاح فى حربه ضد المستعمر حتى ولو لم يكن هذا الشعب نفسه علي استعداد لتحمل تبعات الحرب من أجل حريته!

هذا الاستطراد هام فى توضيح عمق كراهية الافغان كشعب (وليس دائما كقيادات) -- كراهيته اللتبعية والخارجية واذا اضفنا الى ذلك الشعور الفطرى الجارف نحو الإسلام يتضح لنا عندها مدى عزله النظام الشيوعى فى كابل وعدم قدرته على الإستمرارية.

ولأجل علاج هذا النقطة الجوهرية -- التى هى محور الحرب الافغانية منذ اندلاعها حتى الآن -- اجرى الحكم الشيوعى هناك تغيرات جذرية فى طروحاته السياسية, واعلن بشده وصلت الي حد الفجاجة على تحوله الى الإسلام وتخليه عن الماركسية... وعزز النظام هذا التحول بنصوص القانون والخطابات الجماهيرية واداء الشعائر الإسلامية وسط مظاهرات دعائية ضخمة, وكل ذلك فى محاولة اخيرة لمد فترة صمود النظام وحتى يحصل على اعتراف شعبى بأحقيه المشاركة فى الحياة السياسية والسلطة فى المرحلة القادمة.

وفى اطار مجهودات "أسلحة" النظام الماركسى دربت موسكو خلال السنوات التسع الماضية جيشا من الدعاة الاسلامية فى "طشقند" وغيرها على قيادة الرأى العام الأفغانى -- المتدين بطبعة -- لكى يؤيد النظام الشيوعى القائم, ويسبغ الشرعية الاسلامية عليه. مستفيدين بذلك من تفشى الامية بين العشب, وامكانية السيطرة عليه بمزيج من الخداع والقسوة.

ومن ناحية عسكرية اضاف السوفييت عددا من عناصر القوة القدرات العسكرية لنظام كابل من ابرزها:

القوات الجديده المؤلفه من شباب تلقوا تعليمهم وتدريبهم العسكرى فى الإتحاد السوفييتى طوال السنوات العشر الماضية وتألف منهم جيش نظامى عقائدى ومدرب جيدا.

ولم تتوافر معلومات دقيقه عن عدد هذه القوات وان ذكرت بعض التقديرات ارقاما تصل الى المئة الف رجل, اى ما يقارب حجم القوات الروسية المنسحبه... إلا أن الدفاع عن المدن يعتمد اساسا على هذه القوات الجديده, وقد اشارت نتائج المعارك التى خاضها المجاهدون مع هذه القوات على الأطواق الدفاعية لمدينه جلا آباد الى ان هذه القوات مدربه بشكل جيد وتقاتل أساليب غير مألوفه لدى الجيش الافغانى التقليدى ولكن تنقصها الخبرة القتالية (حوالي خمسين ألف رجل) تشعر بالنفور من هؤلاء القادمين الجدد الذين حلوا محل السوفييت, لأنهم يتمتعون بمزايا كبيره في الروات والطعام والتجهيز الأخرى, بينما الشعب يطلق عليهم "الافغان الروس" ولذلك فإن المجاهدين لا يبدون ازاءهم اى مرونه عند اسرهم فهم يقتلون فورا على عكس ما يحدث مع جنود الجيش التقليدى الذى ينظر اليهم على انهم مغلبون على امرهم ويعاملون بكرم زائد.

قوات أخرى جهزها الروس قبل انسحابهم لتتولى التصدى لقوات المجاهدين وهى قوات "الجوزجان" نسبه الى ولاية جوزجان الافغانية, وأول من أطلق عليها هذا الإسم هم مجاهدو ولاية قندهار انثاء معارك الصيف الماضى. وهذه القوات مكونه من باب المحافضات الشمالية الناطقه باللغة الفارسية الذين تم تدريبهم على اساليب حروب العصابات لكى يواجهوا المجاهدين بنفس اسلوبهم, فنصبوا العديد من الكمائن لقوافل المجاهدين فى قندهار وشنوا عددا من الغارات السريعة ضد مراكزهم.

ولم تتوفر معلومات كافية عن عدد هذه القوات, ولكنها تتولى جانبا من مسئوليات الدفاع عن المدن المتبقيه تحت سلطة النظام, ويحتمل أن تكون هذه القوات مدربة على حروب العصابات داخل المدن أو حرب الشوارع, وذلك لجعل عمليات اقتحام المدن اكثر صعوبه بالنسبه للمجاهدين, وقد تسربت أنباء فى كابل تشير الى ان خبراء حرب المدن فى فيتنام الشمالية يعملون فى كابول لتجهيزها لخوض قتال ضد المجاهدين داخلها اذا نجحوا فى تحطيم النطاقات الدفاعية للعاصمة, ويحتمل ايضا اهم عملوا فى جلال آباد لنفس الغرض.

قوة الطيران الموضوعة تحت تصرف نظام كابول... تم تدعيمها بطائرات ميج -- 29 الحديثه كم ان الدعم الجوى عند الطوارئ يصل عبر الحدود السوفيتيه, وقد حدث ذلك فى معارك جلال آباد الاخيرة كما كان يحدث كثيرا اثناء الإحتلال السوفييتى.

وقد وجه المجاهدون اتهامات للهند بأنها ارسلت حوالى ستين طيارا للنظام الأفغانى لكى يعملوا ضد المجاهدين الافغان حول جلال آباد, واتهمتهم ايضا بالتجهيز لإستخدام ضربات الغازات السامة ضدهم, ومن جانبهم لم يقم المجاهدون دليلا حاسما فى هذا المجالى سوى التصريحات الرسمية الهندية المعادية لقيام نظام فى كابل خاضع لجماعات المجاهدين, وبوجه عام فعلاقات نيودلهى مع المجاهدين الافغان يشوبها العداء والشك منذ البداية.

صواريخ "سكود -- بى" التى زودت موسكو بها نظام كابول لم تثبت فعالية تذكر ضد المجاهدين -- خاصة فى مناطق الجبال -- فدقة اصابة هذا النوع من الصوايخ لا بأس بها اذا كانت المناطق مسطحة, لذلك يبقى سلاح الطيران اكثر فعالية بما لا يقارن ضد مواقع المجاهدين.

ولكن اهمية "سكود" تكمن فى تكين نظام كابل من تهديد الاراضي الباكستانية دون تعريض طياريه لمخاطر المواجهة مع سلاح الطيران الاكستانى , فسجل هذه المواجهات علي قلتها لم يترك للطيارين الافغان اى أمل فى منافسة باكستانيين.

والتهديد باستخدام "سكود" ضد الأراضى الباكستانية وسيله الآن -- وبعد معارك جلال آباد -- فى الضغط نفسيا على باكستان لكبح جماح المجاهدين والا تعرضت اراضيها للقصف الصاروخى, كما صرح بذلك مؤخرا نجيب, وزير دفاعه.

الاجهزة التكنولوجية المتطورة بوضوح فى معرك "جلال آباد" ومن اهمها اجهزة كشف مصادر النيران وتوجيه المدفعية, والأكثر تأثيرا كانت القذائف الموجهه التى تطلقها الطائرات من مسافات طويله بدون ان تتعرض لنيران المجاهدين خاصة صواريخ "ستنجر" وبدون ان يعطى صوت الطائرة انذار للمجاهدين.
وقد اثارت الطرائرات الافغانية الدهشة بدقه اصابتها اثناء الضرب من ارتفاعات شاهقة, وأيضا بمهارة التكتيكات المتبعة للتخلص من نيران المجاهدين, وبرغم ذلك فقد تمكنت دفاعات المجاهدين من اسقاط عدد من الطائرات فى محيط جلال آباد, علاوة على مواقع اخرى متناثرة فى أفغانستان.
وعلى المستوى السياسى الإقليمى شعرت موسكو بشئ من الإطمئنان على مستقبل أفغانستان السياسى عندما تغير نظام ضياء الحق وحل محلة النظام السيده بوتو ذى الصبغة الديمقواطية, وقد اتاحت العملية الديموقراطية فى باكستان فرصة اوسع لاصدقاء موسكو كى يعبروا عن وجهات نظرهم الداعية الى انها المشكلة الافغانية.
ويدعوا هؤلاء ايضا عبر صحفهم ونواب البرلمان التابعين لهم الى اغلاق الحدود الباكستانية فى وجه المقاومة الافغانية.
ويدعوا هؤلاء ايضا عبر صحفهم ونوا البرلمان التابعين لهم الى اغلاق الحدود الباكستانية فى وجه المقاومة الافغانية.
كما ان الدعم السياسى الذى تمنحه نيودلهى لنظام نجيب فى كابل قد تزايد -- بغض النظر عن صحة وجود الدعم العسكرى أم لا -- ولقد اعلنت صراحة انها لن تسمح بقيام نظام حكم اسلامى فى كابل, وقد اكتسب الهند مصداقية كبيرة فى وعودها السياسية نتيجه دعمها بقوتها العسكرية المتنامية حتى صارت الرقم الرئيسى فى سياسة جنوب آسيا والمحيط الهندى.
كل العناصر السابقه رغم انها تقوى من مركز حكومة كابول الا انها لا تمكنها من الإستمرار لمدة طويله او الإنفراد بالحكم, فكل ما يمكن للسوييت ان يأملوا فيه هو أن تصمد هذه الحكومة فترة كافيه حتى يتحرك المجتمع الدولى لتبنى وتنفيذ اتفاقيه جينيف الذى تقضى بتشكيل حكومة موسعه تشمل اطراف الصراع فى اطار حكومة واحدة, وحتى يتم ذلك يأمل موسكوا ان تكون العناصر السابقه كافيه لحفظ النظام من الإنهيار, وقد تستخدم بعض العناصر السابقه لتهديد باكستان والضغط عليها بل ولإرهابها بتوسيع نطاق الحرب حتى تتدخل لدى المجاهدين للضغط عليهم حتى يقبلوا بالحل الدولى (اتفاق جنيف.(
على الجانب الآخر هناك المجاهدون وقد توج نضالهم الطولى نصرا تاريخيا غير مسبوق يتمثل فى دفاع الجيش الاحمر السوفيتى الى ما وراء الحدود لأول مرة فى تاريخ هذا الجيش يلاقى مثل هذه الهزيمة ويضطر للتراجع القسرى فى بلاد احتلها, ولم يكن هذا النصر هدية قدمت للأفغان على طبق من فضه كما يحاول البعض ان يصوره ولكنهم كشعب قدموا ثمنا لهذا النصر كما لم يقدم شعب آخر فى التاريخ, فعلى سبيل المثال قائمة التضحيات تشمل.
--اكثر من مليون شهيد.
--اكثر من خمسة ملايين مهاجر.
-جرحى ومعوقين وأصحاب اصابات حرب مختلفه بتعداد يتراوح ما بين مليونين الى ثلاثة ملايين.
--الحياة الإقتصادية فى الريف مدمرة بمنسبة تزيذ عن 80 بالمائة -- فالشعب الأفغانى قد حارب معركته بشجاعة وصبر, حاربها بنفسه وبدوافع عقائدية قوية.
--اكثر من 30 مليون لغم مدفونه فى أرض أفغانستان, وتمثل خطوة كبير لعقود طويله من الزمن.
وكان من المفروض أن تكون الثمار السياسية يجنيها هذا الشعب متناسبة مع حجم التضحيات التى قدمها, ولكن ذلك لم يتحقق تماما لظروف كثيرة بعضها نبع من داخل المجتمع الأفغانى نفسه وبعضها الآخر من المناخ الإقليمى والدولى بالقضية وتورط اطراف كثيرة فيها بشكل أو بآخر.
والأدهى من ذلك ان بعض الأطراف -- بحكم مساعدات قدمها -- اعطى لنفسه حقوقا التصرف فى القضية الأفغانية اكثر مما يمتلك اصحاب القضية انفسهم.
وهذا الخلل يتحمله بشكل اساسى قيادات المنظمات الأفغانية التى اتاحت لهذا الوضع الشاذ أن ينشأ. قد ظلت طوال عشر سنوات عاجزة عن العمل كجبه موحدة, أو ان تفرز زعامة قوية مجمع عليها شعبيا , لقد اتاح هذا الوضع للوقوى الخارجيه فرصه لا تعوض للإختراق والنفاذ والتحكم.

واستمر ذلك حتى تم الإنسحاب الروسى فى 15 فبراير الماضى, ولم يكن ممكنا أن يتم اصلاح خلل استمر عشر سنوات فى ايام قليله فقد استمرت مشاورات تشكيل الحكومة الإنتقالية الحالية لمدة اسبوعين فى مدينه راولبندى الباكستانية حتى يتم الإتفاق على توزيع المناصب الوزارية على رؤساء المنظمات السبع بالطريقه الموجوده حاليا.

وقد وصف خبير باكستانى متخصص فى المسأله الأفغانية بأن ما تم فى إجتماعات "راولبندى" كان هو الحد الادنى الذى كان يمكن لزعماء المنظمات السبع ان يتفقوا عليه.

ومعنى ذلك أن عشر سنوات من الحد الأقصى من القتال و التضحيات نتج عنها حد أدنى من التقدم السياسى, فالحكومة الإنتقالية لا تتناسب بحال مع تضحيات شعبها ولا طموحاته المستقبلية ولا يخفى ان لذلك تأثيرا كبيرا على مجريات النشاط العسكرى فى مرحلة ما بعد الإنسحاب و كذلك على مصير الحل الأفغانى للقضية.

واسباب عديدة تدعوا الي اعتبار الحكومة الإنتقالية للمجاهدين دون المستوى المطلوب والمتناسب مع جهاد شعبها ومن هذه الاعتبارات:

-رغم ان المناصب العليا والرئيسية فى الحكومة قد وزعت على القادة السبعة ورجالها المقربين إلا المنظمات ما زالت اقوى من الحكومة, فهى تحتفظ بميزانيتها الخاصة وقواتها الخاصة وتنظيمها الخاص, ولم تندمج بأى شكل تحت سلطة الحكومة.

وكما فى محاولاتهم الإتحادية السابقة لم تقدم تلك المنظمات شخصية قيادية يلتفون حولها ويقدومنها الشعب كزعامة يتلف بدوره حولها, هذه الزعامة المختارة تطلق لها الحرية فى تشكيل الحكومة من ذوى الإخلاص والكفاءات دون التقيد بشخصيات قادة المنظمات أو معاونيهم.

وقد أتاح هذا الوضع المتناقض الى أن يتساءل بعض المغرضين عن جدوى محاولات الحكومة المؤقته الحالية طلب الإعتراف الدولى بها مادامت المنظمات الافغانية نفسها لم تعترف بحكومتها!!

وتساءلوا عن منطقيه طلب الحكومة المؤقته من نظام كابل ان يسلم سلطاته وقواته المسلحة لها بينما لم تفعل منظمات المقاومة نفسها ذلك؟

ثم تساؤل آخر علي خطورة هذا التشكيل الوزارى الهش على مستقبل البلاد إذا كيف سيطمئن الشعب ان يضع مصيره فى يده سبع حكومات (المنظمات) وليس فى يد حكومة واحدة قوية؟... وقد اثيرت تلك الإعتراضات عبر الصحف المناصرة لموسكو, كل هذه الثغرات تحاول موسكوا ونظام كابل التسلل منه وضرب الشعب الافغانى وسرقة مكاسبه السياسية التى كان من المفروض ان يحصل عليها نتيجة نضالة الطويل, ويساعد على ذلك بدون شك تعثر محاولة الإستيلاء على جلال آباد من جانب المجاهدين وهو العمل الأول والأكبر للحكومة المؤقته والذى ارتبط بإسمها وسمعتها.

نقص آخر لازم الحكومة المؤقته منذ ولادتها وهو كونها حكومة منفى, فرغم ان معظم مساحة البلاد محررة والمناطق الجبلية ذات المغارات القوية لا توفر ملجأ لأفراد الحكومة وحسب, بل لقوات من آلاف الرجال, ولكن تشكيل الحكومة ومقر اقامتها مازال خارج الأراضى الافغانية, ومحاولات الحكومة ان تبدو على صلة بأرضها سطحية وغير كافيه فالإجتماع الأول لها كان من المفروض ان يكون فى مدينه جلال آباد كما اعلن كبار المسؤلين بها, بل تحدد له موعد خلال ايام من بداية المعارك ولما تعثر سقوط المدينه تم الإجتماع على اطراف "خوست" الحدودية بصحبة جيش من المراسلين الأجانب, واقتصر الاجتماع على التقاط الصور لبعض اعضاء الحكومة كوثيقه على أنها تواجدت على أرض أفغانستان, وبدأ ذلك سادحا للمراسلين الاجانب أنفسهم... فكيف بالمجاهدين.؟

وهذا النقص نابع عن كون قيادات المنظمات السبع قد مارست القيادة بطريقه "الريموت كونترول" من بشاور اغلب السنوت العشر الماضية.

ولابد للحكومة المؤقته ان تصبح قوة فاعل على أرض افغانستان وليس امام كاميرات الإعلام الدولى. فالقوات الشيوعية ليست قادرة الآن على شن اى هجوم له قيمه على المناطق المحررة, والحكومة المؤقته يمكنها اختيار مراكز وأماكن آمنه فى المناطق الجبليةالتى توفر حماية طبيعية كافية ضد الطيران, والإتصالات اللاسلكية متوافرة فى ايدى المنظمات حيث يمكن بناء شبكة اتصال للحكومة المركزية وفروعها فى المحافظات لتكون علي ارتباط دائم بالأقاليم.

مشكله سياسية
فالمشكلة الحقيقية الآن ليست فى مدينه جلال آباد وتعثر الإستيلاء عليها بقدر ما هى مشكلة سياسية تتمثل فى السؤال القائل: من يحكم أفغانستان... وكيف؟
من الطبيعى ان تكون الإجابه ان افغانستان يحكمها شعبها الذى قاتل ودفع تكاليف حريته واستقلاله عن طريق حكومة تمثل فئات هذا الشعب وآماله تمثيلا صحيحا , ونخشى ان تكون المنظمات قد انخفضت بهذا الهدف ولخصته الى مجرد كيفيه توزيع المناصب على القادة السبعة واعوانهم المخلصين, والفرق فى الحالتين كبير والتمادى فى هذا المنطق قد ينتهى بكارثه للشعب الأفغانى نفسه.
لهذا حتى لو فتح المجاهدون "جلال آباد" أو "كابل" نفسها فسيظل الخطر قائما يهدد بزوال كل المكاسب أو معظمها.
ولكن بقيت هناك فرصة ربما تكون اخيرة لإصلاح سلبيات المعالجة السياسية للمنظمات اثناء تشكيل الحكومة الدائمة التى يزعمون انشائها خلال أشهر.
ويلزمهم فى ذلك:
-الخروج من صيغة المنظمات السبع والقادة السبع الوصول الى صيغة القائد الواحد الذى يعمل من خلال مؤسسات.
-توسيع قاعدة الحكومة لتشمل كل الفئات التى قاتلت وتحملت تكاليف وتبعات الحرب. ويشمل ذلك بالطبع المجموعات التى انشقت عن المنظمات السبع, وكذلك المجموعت المسقرة فى إيران ثم المستقلين في جماعات صغيرة.
-تجميع الشعب الافغانى تحت قيادة تمثل كافة فئاته وترضيهم لإغلاق الباب الذى تحاول القوي الدولية النفاذ منه لاشعال حرب اهلية طويله لتدمير البناء الثقافى والإجتماعى والدينى للشعب الافغانى, وهى مخاطر حقيقية قائمة قد تؤدى على المدى الطويل الى تفتيت افغانستان الى كيانات صغيرة وشظايا تدور فى فلك القوى العظمى والإقليمية الكبيرة.
-تأليف حكومة ذات فعالية على ارض افغانستان وليس حكومة منفى, على ان تباشر تلك الحكومة عبر اجهزتها ادارة لا مركزية فى البلاد تقوم بعمليات اعادة بناء ما هدمته الحرب بالذات فى المجال الزراعى لتخفيف الإعتماد على المعونات الدولية التى يستعد الغرب استعداد جادا لجعلها ذريعة لغزو حضارى وثقافى وتبعية دائمة لأفغانستان للفلك الغربى.

"جلال آباد عسكريا"
على الصعيد العسكرى فلا شك ان المجاهدين يتمتعون بتفوق كبير على القوات الحكومة فى الجانب الأهم وهو الجانب المعنوى, فالتلاحم قائم بين المجاهدين والشعب على أساس المبادئ الإسلامية المناهضة التوجهات الشيوعية للنظام, والمعنويات مرتفعه وقد عززها الإنتصار و انسحاب الروس خائبين.
ومازال الجيش الحكومى للنظام يتمتع بتفوق كاسح في التسليح كما ونوعا , ولكن ذلك لم يمنع الجيش الاحمر نفسه من الفشل امام قوات متحمسة ذات معنويات عالية كقوات المجاهدين, وفى رأى لبعض المحللين العسكريين فإن عملية الهجوم الحبهوى على مدينه جلال آباد كان أمرا سابقا لأوانه من الناحية العسكرية, فالمدن القوية التحصين والتجهيز مثل كابل وجلال آباد تحتاج من المجاهدين الى تكوين قوات جديدة على اسس الحرب النظامية التقليدية وتزويد هذه القوات بأسلحة ثقيله ومنظومة متكاملة للدفاع الجوى للتعامل مع الطيران على ارتفاعات مختلفة, اما قوات حرب العصابات التى يمتلكها المجاهدون حالا فلا تصلح لعمليات الهجوم للإستيلاء على المدن القوية ولكنها تصلح لعمليات الحصار والانهاك الذى قد يؤدى بدوره الى سقوط المدن ولكن على فترة زمنية طويله.
ولاحظ هؤلاء ايضا التصريحات المتسوعة لقيادات المنظمات السبع عن قرب سقوط جلال آباد خلال ايام قليلة, لأن ذلك لم يكن ممكنا من وجهة النظر العسكرية بمثل القوات الخفيفة للمجاهدين مع الإفتقار فى نفس الوقت للتنسيق فيما بينهما اثناء العمليات.
وقد اضافت تلك التصريحات المتسرعة وصيدا من القوة لنظام كابل الذى استشهد بها كقرينه على ثباته وقوته وضعف خصومه وعدم مصداقيتهم, وهكذا اهدى القادة نصرا سهلا لنظام كابل على الصعيد النفسى والسياسى.

وقد لاحظ المحللون العسكريون ان الاسلحة الثقيله المتوفرة لدى المجاهدين فى معركة جلال آباد قليله بالنسبه لمتطلبات المعركة كما انها مبعثرة بين المجموعات المختلفه ولا تعمل بخطة عمل وتوقيت واحد.
كما لاحظوا ايضا قله واضحة فى عدد صواريخ ستينجر وسام --7 فى مقابل نشاط مكثف للطيران الشيوعى مع تقدم واضح فى امكاناته التقنية والتكتيكية, وذلك ادى -- مع خطأ اسلوب الهجوم الجبهوى -- الى خسائر كبيرة فى الارواح بين المجاهدين خاصة وأنهم اضطروا للتحرك والإحتشاد فى المناطق السهلية المكشوفه حول المدينه.
وقد اقترحوا ان يتحول المجاهدين الى حرب الحصار والتجويع ضد العاصمة والمدن القوية وعدم التعجل باقتحام جبهوى قد يقود الى خسائر عالية فى الارواح بدون احراز حسم سريع.
كما اقترحوا ايضا التشديد على قطع طرق المواصلات الرئيسية بين المدن واغلاق ممر سالانج بشكل خاص حيث تعب الامدادات الرئيسية القامة لدعم النظام من الإتحاد السوفييتى.
ونظرا للعجز الواضح فى وسائل الدفاع الجوى فيمكن للمجاهدين تعويض ذلك بالهجوم على المطارات والقواعد الجوية لتقليل التفوق الجوى للقوات الشيوعية.
وقد ابدى هؤلاء المراقبون دهشتهم للطابع الهستيرى الذى عالجت به وسائل الإعلام الدولي معركة جلال آباد, وتصويرها بأنها المعركة الحاسمة والمصيبية للحرب الأفغانية, مع أنه كان من الواضح أنها لن تؤدى الى النتائج الموجوة منها, فهل كان لك متعمدا لتضخيم الإنطباع بفشل المجاهدين وعدم قدرتهم على الحسم العسكرى وبالتالى فتح الباب واسعا لفرض الحل الدولى عليهم واشراكهم مع الشيوعيين فى حكومة ائتلافية موسعة كما تقتضى اتفاقيه جنيف؟ ونستبعد كون اندفاع القيادات للمنظمات فى اطلاق التصريحات النارية فى مباراة غير محسوبة كانت داخلية فى اطار مثل هذا المخطط والأغلب انه مجرد خطأ املته الحماسة الزائدة.
ملاحظة على الحملة المبالغ فيها حول هذه المعركة من جانب وسائل الإعلام الغربى بشكل خاص بينما تجاهلوا تماما حقيقة ان القوات الحكومية تستخدم الغازات السامة بشكل منتظم ضد مواقع المجاهدين حول جلال آباد, سواء بالطائرات التى ترميهم بها ليلا -- بواسطة القاذفات المروحية الثقيله -- أو نهارا بواسطة الطائرات النفاثه وصواريخ سكود, وقد تم وتصوير تلك الوقائع من جانب صحفيين عدة, ولكن لم يتحدث عنها احد فإذا اضفنا الى ذلك حقيقة العجز الذى يعانى منه المجاهدون ى مجال الصواريخ المضادة للطائرات -- ويشاع ان امداداهم بها قد توقف ويستهلكون الآن من مخزونهم القديم -- فهل يدل على نوع من انواع التواطؤ الدولى... يساهم فيه الإعلام الغربى؟
من الملاحظات العسكرية ايضا هو اختيار جلال آباد بشكل خاص كهدف الهجوم الرئيسى للمجاهدين, فالمنطقة يقضى بإختيار الاهداف الاسهل ثم الاصعب.
فمسرح العمليات حول جلال آباد مسطح مكشوف مما جعل المجاهدين تحت رحمة طائرات و مدفعية العدو, فهو يصلح اكثر ليكون منطقة قتل للمجاهدين. بالإضافه الي الإستنزاف الذى يتطلبه التغلب علي النطاقات الدفاعية للمدينه الذى قاتل فيها للمجاهدون شبرا بشبر.
فلماذا لم تبدأ المعركة فى "قندهار" ثانى اهم المدن بعد كابل؟ حيث لا أطواق دفاعية للمدينه والمجاهدون فى داخل المدينة فعلا منذ أشهر طويله.
فلو ان جزء يسيرا من المجهود الذى بذل فى جلال آباد قد توجه الى قندهار لتم فتحها بسهولة, وما يعنيه ذلك من نصر سياسى هائل الي جانب النصر العسكرى.
وهناك ثلاث مدن رئيسية اخرى فى اوضاع مشابة فلماذا لم يتوجه المجهود العسكرى الرئيسى للمجاهدين الى احدها؟
وهذا يثير تساؤلا حول القرار السياسى الذى اتخذ لخوض المعركة...
من اتخذ القرار... وكيف... ولماذا؟...
قد لا تتوافر معلومات اكيده عن ذلك لشكل عاجل أو قد لا تتوفر على الإطلاق, وهذا يفسح لتكهنات غير سارة بالنسبه لقيادات المنظمات الافغانية.
ومن الافضل للمجاهدين كما يرى المراقبون عدم التعجل نحو حسم عسكرى لا يتماشى مع الإمكانات العسكرية المتاحة. لأن المجازفه بهذا الشكل قد تحمل مخاطر الإنتكاسه العسكرىة, ولابد لهم من تبنى استراتيجية جديدة

تتماشى مع امكاناتهم الذاتية ومصالح الشعب الافغانى كما ان تقوية جبهتهم السياسية وتماسكها سيجعل كثيرا بالإنتصار العسكرى الذى ينشدونه ...
كتبت فى الثانى من مايو 1988
نشر فى جريدة الاتحاد الاماراتية في تاريخ (11 مايو 1989)

آراء متباينه حول عرب افغانستان

من معركة جلال آباد والمتطوعون العرب اصبحوا تحت نيران الاعلام الدولى, وبدأت صحافة باكستان تتكلم بلهجه جديدة بدأت خافته ثم تزايدت بالتدريج , وظهرت فيها صور للشباب العرب بالثياب الافغانية وهم يتجولون فى شوارع بشاور, بثياب غير مرتبه وشهور طويله وكى كثه وتكتب تعليقات ليست هجومية فى البداية ولكنها خالية من الترحيب وتحريضيه وتذكر أنهم فى البداية ولكنها خالية من الترحيب وتحريضيه وتذكر أنهم الآلاف يقاتلون فى أفغانستان.

فى نفس الوقت تقريبا ظهرت نغمة مشابهه فى صحيفه بالإمارات هى صحيفه الخليج فى 10/4/89 أى بعد حوالى شهر من استعار الحرب فى جلال آباد فى (6/3/89). وتحت عنوان رساله اليوم: لماذا لا نقاتل فى بورما أيضا !!! كتب القارئ منصور عبد الرحمن

وجهه النظر الجديدة.. وهذا أهم ما جاء فيها ؛ قضيه أفغانستان أخذت منعطفا خطيرا وهاما جدا فى الآونه الاخيرة بالنسبه لشعب الإمارات القليل بعددة الكبير بثروته, منذ الايام الأولى للحرب الأهليه فى افغانستان, وحتى الآن ونحن مازلنا ندعم المجاهدين بشتى الوسائل ومختلف الطرق لكن دون أن نحمل السلاح ونشارك فى المعارك الطاحنه هناك بأرواحنا, وما يلفت النظر مؤخرا هو أن هناك مجموعة من الشباب المواطن من المفروض أن تكون متدينه الى أقصى حدود واعية لواجباتها الوطنية تضحى من أجل مصلحة مجتمعها أخذت على عاتقها مسئولية تحرير أفغانستان والدفاع بالمال والروح عن قضيه المجاهدين وبالذات تلك الفصائل التى يمثلها السيد حكمتيار, توجه بعض المتطوعين الى جبهات القتال خلال الايام القليلة الماضية بعد ان انخدعوا بالدعاية الاعلامية الغربيه وإنضموا الى صفوف المجاهدين فى إقليم تاخار ومنطقه روستاك وحيرات وبادخشان وسلانج وجلال آباد وغيرها من مناطق القتال الدموى الذى يدور هناك بين قوات كابل من جهه وقوات المجاهدين المدعومة من الباكستانيين من جهة اخرى, ذهبوا وهم على معرفة تامة بأنهم سيتساقطون قتلى تحت وابل من قنابل الدبابات وراجمات الصواريخ بعد ان تم دفعهم كقوات أمامية فى خط الهجوم الاول.

تم تجنيد بعض الشباب محليا عن طريق وفود المجاهدين التى تزور البلاد باستمرار وكذلك عن طريق مكاتبهم المحلية, والبعض الآخر من شباب الامارات تم تجنيدهم فى الولايات المتحدة, بينما كانوا هناك طلبة منتسبين الى الجامعات, أحد الطلاب ذهب الى الولايات المتحدة لتكملة دراساته العليا, وأرسل الى أفغانستان بعد أن تم تجنيده هناك عن طريق مدينه بشاور الباكستانية دون موافقه والديه أو أى أحد من أهله, أوسلت له أمه عدة رسائل تطالبه فيها بالعوده بأسرع ما يمكن الى أهله لأنهم يحبونه جميعا , رفض العودة وأصر على رأيه وهو أن يموت شهيدا من أجل قضيه أفغانستان كما قال بجانب إخوانه فى الاسلام.

وأمام الأمر الواقع قررت أمه الذهاب بنفسها الي جبهات القتالية بحثا عن ولدها قبل فوات الأوان..." ... "يقول أحد أئمه المساجد أنه ذهب الى أفغانستان متطوعا بعد أن سمع الكثير واقتنع بالجهاد, وبعدما قابل أحد وفود المجاهدين التى زارت البلاد منذ فترة وأنه كان يتسلم راتبه فى نهاية كل شهر بعد أن يطلب منهم الوقوف فى صفوف طويله منتظمه على أن يستلم كل متطوع نفس المبلغ الذى كان يستلمه فى بلاده قبل التحاقه بفصائل المجاهدين.

نحن فى الامارات فى حاجة ماسه الى كل مواطن وإلى كل من أحب هذه الارض بغض النظر عن معتقداته وايدلوجياته ومهما كل شأته... وحتى ذلك الوقت المطلوب منا جميعا يكفى أن نظل أحياء فقط لأن موت واحد منا يؤثر على التركيبه السكانية, وليس محبزا أن تكون الحرب الأهلية فى جبال أفغانستان أحد أسباب إنقراضنا, وهذه هى اكبر خدمه جياله يستطيع الواحد منا تقدمها الى مجتمعه إن كان يحبه, وهو أن يظل حيا وذلك فى ضوء تدنى عددنا نسبه الى الكثافة السكانية التى نعيش فيها..." ..."ولكن حتى الآن لم يشارك فىها مسيرة الجهاد التى نسمع عنها إلا فئه قليله جدا تستمد استمراريتها ووجودها من مساعدات وكالة المخابرات المركزية التى زودتهم باسلحة حديثه متطورة جدا لا تمتلكها حتى حكومات دول.

وقضية أفغانستان لها من يمولها بأكثر من 70 مليون دولار تدفع لبعض الفصائل نقدا , الذى لا أعرفه كيف إمام مسجد يمكنه تحرير أفغانستان, أو ما الذى سيعمله طالب جامعى لا يعرف كيف يحمل بندقيه وأمه تبحث عنه فى مكان آخر أمام 150 ألف جندى حكومى ؟

وإذا بإسم الاسلام نقاتل حكومة أفغانستان الحالية ألم نفكر ولو للحظة أن مساعدات وكالة المخابرات المركزية لن تكون دون مقابل!!

...؛ والمطلوب اليوم قبل الغد أن تتوقف عمليات التطوع الى أفغانستان حتى لو كان ذلك بقرار, وذلك لأن الاضرار البشرية الجسيمة التى ستلحق بالمجتمع, وسلامه مجتمع الامارات هى فوق كل الاعتبارات" ...
..."اما قضية افغ-انستان فل-نتركها الى شعب أفغانستان بعدده الكبير. وللسؤال فقط, لماذا نعطى أفغانستان اكبر من حجمها, لماذا لا نشارك فى الدفاع بأموالنا وأرواحنا عن إخوانن-ا المسلمي-ن أيضا فى جبهه مورو الاسلامية فى جنوب الفلبين أو عند المسلمين الذين يتعرضون للموت والاضطهاد فى جمهورية بورما أو حتى السود فى أمريكا.» ?
تلك كانت الرسالة القريبه فى الامارات والتى تحتاج الى كتاب كامل لمناقشتها, ولا يخفى على القارئ اللبيب الدهاليز المظلمة فى ذلك الفكر الحقير... فحرب أفغانستان كانت أهلية منذ بدايتها وكأن "الجيش الحمر" كان أفغانيا ومن أهل الدار.
وشباب الامارات تم تجنيدهم فى أمريكا... من أجل قضيه أفغانستان التى هى لعبة أمريكية تنفق عليها مخابراتها.
وكيف أن الهدف السمى لمواطن دولة الامارات هو أن يظل حيا (!!) فكيف يكون سعر دولة -- هذا هو حال مواطنيها .? وهل نعجب أن جاءت بعد سنوات جيوش امريكا وأوروبا بقيادة الجنرال شوارزكوف اليهودى كى يحمى تلك المخلوقات اللزجه, مستخدما قواته من مومسات وشواذ قوات المارينز.?
أمريكا التى لم تساعد افغانستان بدون مقابل, فهل حررت الكويت واستقرت فى دول الخليج لوجه الله?... وكيف تخرج تلك القوات بعد إقامتها السهلة ومصادرتها بترول المنطقه, ومن الذى سوف يخرجها? ... هل هم المواطنون الغيورين على وطنهم, مهما كانت معتقداتهم وايدلوجياتهم...?
هؤلاء الذين يرون أن بقاءهم أحياء, مجرد حفاظهم على حياتهم هو أكبر خدمة يقدمونها لوطنهم الحبيب حتى ولو كانوا هم ووطنهم الحبيب تحت أحذية الامريكان والبريطانيين والفرنسيين, والاسرائيليين أيضا.?
كل هذه اللهفه خوفا من أن يموت مواطن واحد من أبناء الامارات, ولم يكن قد استشهد أيا من متطوعى الامارات الذين كانوا قله نادرة.
لاد من قرار لمنع شباب الامارات من الجهاد خوفا على التركيه السكانية, فلماذا لا يصدرون قرارا ضد قيادتهم للسيارات السريعة التى تودى بحياة العشرات منهم كل عام... وقرار آخر بمنع تناول المخدرات والخمور وشم الغراء واحتساء البنزين والكلونيا التى تودى بحياة عشرات أخرين منهم, ولماذا لا يصدر قرار ثالث يمنع سفرهم الى دول شرق آسيا التى يذهبون اليها للمارسة الجنس الرخيص, ثم يعودون بعدها حاملين فى أجسادهم مالذ وطاب من أمراض الايدز رالزهرى ينشرونها فى ربوع الوطن الحبيب, ولماذا... مئات القرارات يجب أن تصدر للحفاظ حياة هؤلاء الشباب, فلما يجب منعهم من الجهاد فى أفغانستان فقط... وليس شيئا غيرها أو معها.
الغريب أن أول شهيد فى أفغانستان من أبناء الامارات قد سقط فى جلال آباد, بعد نشر ذلك المقال المخزى باسبوع كامل, ففى يوم الاثنين 12 رمضان 1409 -- الموافق 17 إبريل 89م), استهد عبد الرحمن الاماراتى (محمد عبد الله راشد زايد) من قرية تدفع من إمارة الفجيرة, وكان يعمل فى جيش الامارات. وقد تحدث الشيخ عبد الله عزام عن استشهاد ذلك الشاب فى حملة المجاهد ؛العددان 54 -- 55 تاريخ رمضان -- شوال 1409ه- - - ابريل/مايو 1989«. وقد جاء فيما قاله الشيخ عبد الله إذا رجعت اليكم فافعلو بى ما بدا لكم, هكذا كان جوابه للعقيد الذى جاء يهدده بوجوب الرجوع الى الامارات لأنه كان يعمل فى السلك العسكرى فألقى البزة العسكرية وأقبل الى الجهاد يريد ان يطبق يوما واحدا ما تعلمه فى الجيش عبر السنين, إذا أنه رأى أن الجيوش فى العالم الاسلامى لا يتعدى عملها الروتين اليومى المكرور الممل ولا تؤدى اكثر من مراسم الاستقبال والتوزيع.»
و القصة التى ساقها الشيخ عبد الله عن كيفيه استشهاد عبد الرحمن الاماراتى هو من صورة البطولة غير العادية التى لا تنسجم مطلقا مع روح كاتب مقالة جريدة الخليج "منصور عبد الرحمن" فهنا يظهر الفارق جليا بين البطولة الحقه والحقارة المخنثين الذين اتخمتهم الاموال ولزوجة الحياة الذليلة فى الخليج.
لقد قتل عبد الرحمن الاماراتى على موقع للشيوعيين فوق احدي المرتفعات وكان يقتحم الموقع على من فيه من الجنود مستخدما القنابل اليدوية ومدفعه الرشاش. وقد اصيب بعده طلقات فى صدرة وقتل فى الحال.
ومع المقال صورة للشهيد قبل دفنه وقد ارتسمت على ملامحه القوية النبيلة ايات السكينه... ولو أراد أحدهم أن يتخيل أبهى صورة لفارس مسلم فى صدر الاسلام ما تكونت فى ذهنه أفضل من تلك الصورة لعبد الرحمن الاماراتى.

عل كل حال فإن من جاء فى الصحف العربية بعد ذلك بسنوات عن المتطوعين العرب في افغاستان والذين أطلقوا عليهم مصطلح... ؛الافغان العرب« كان عملية قتل معنوى مهدت لاحكام الاعدام وبررت عمليات التعزيب والمطاردة التى لم يسبق لها مثيل حتى لمجرمي الحرب النازيين الدين فروا من الألمان بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية.

«أثناء معركة جلال آباد كانت الآراء قد تبلورت فى القضية الافغانية وحولها وتصارعت بشكل واضح , وعكس تنوع الآراء تيارات فكرية وسياسية -- بل وفد هيبه -- متصارعة داخل وحول القضية الافغانية, عبرت وجهات النظر عن منظمات واحزاب وأفراد, برزت وجهات نظرهم لأسباب متباينه, إما لكونهم بارزون فى العمل الاسلامى - مثل أبو اسامة عبد العزيز على -- أم متصادمون بشده مع تيارات فاعلة قوية -- كما حدث معى ومع أبو مصعب السوري فيما بعد.

وقد حظر لى تلخيص تلك الآراء فى جدول يسهل إدراك تلك التيارات علي القادمين بعدنا بسنوات طويله سوف تخفى فى طياتها معظهم التفاصيل وربما الحقائق.

رحلة ... زواج... وحرب

كان شهر رمضان فى ذلك العام (1409ه- -- 1989م) شديد الوطأة لم يكن ذلك بسبب شدة حرارة أو برودة, بل العكس فالجو كن ربيعيا معتدلا.

ولكن ما يحدث فى جلال آباد كان فظيعا وغير عادى. فجثث الافغان الواردة من الجبهة الى بشاور فاق عددها ما يمكن ان يتخيله أحد, أما العرب فقد حمل أبو عبد الله لواء المعركة -- ورغم كل التحذيرات والدلائل الواضحة -- مضى فيها بأقصى قوته, ومن خلفه الدكتور عبدالله عزام فى مجله الجهاد يكتب بها كل ما يشعل عواطف المسلمين من قصص شهداء جلال آباد وكراماتهم, والدولة الاسلامية الموعودة, ومؤامرات العالم عليها, وفتوحات جلال آباد والغنائم التى حازها المجاهدون من اسلحة ومعدات وعتاد -- وكان ذلك صحيحا -- ولكنه الجزء المضئ ولكن الاصفر فى الحقيقه التى تقول أن تلك المعركة كانت ورطة محكمه عن سبق إصرار وترصد سقط فيها المجاهدون الافغان, وقفز خلفهم - بكل شهامة وغباء -- المجاهدون العرب -- وما لبث أن تخلص منها الافغان تدريجيا .بينما زاد العرب من تورطهم فيها.

بعد استشهاد صخرى ثم على عبد الفتاح, وقبلهم وبعدهم كثيرون ثم إصدارى تلك الأمنيه غير المعقوله بأن احاكم -- ثم أحكم بالإعدام على المسئولين العرب عن مجازر جلال آباد وذكرى أسماء أصدقائي الثلاثه قائد وأركان حرب "القاعدة", أصبح الوضع بعدها لا يحتمل, فتعجلت سفرى الى الامارات, ولم انتظر لقضاء العيد مع اسرتى رغم أن ذلك يؤلمهم كثيرا ولكنهم قدروا حالتى النفسيه السيئة نتيجة الاحداث ولم يمانعوا فى سفرى, إن لم يكونو قد رحبوا به, ومن حسن الحظ أن أم زوجتى -- وهى ايضا عمتى أختى ابى -- كانت مقيمة عندنا فقد جاءت إلينا من مصر لزيارتنا -- فوق كرسى متحرك.لكنها ملأت البيت بهجه بمغامرات أطفالنا معها ومحاولاتها -- الفاشله عادة -- فى تأديبهم.

الثلاثاء 13 رمضان -- 18 ابريل

أظنها المرة الاولى التى أجد أحد فى انتظارى فى مطار ابوظبى.

كان المطار هادئا والحركة فيه بطيئة, ربما كان من أثر الصيام, كانت أبنة أخى تقف وحيده فى أنتظارى, لم اكن قد أخبرت أحدا بقدومى.

لكننى بذكائى المعهود فهمت أنها أحدى مؤامرات "كيد النساء". لابد أن زوجتى -- وهى أيضا خالتها -- قد أخبرتها بقدومى. ضحكت أبنه أخى وهى تشاهد أمارات الدهشة الحمقاء على محياى, سألتها بجفاء مصطنع: ماذا جاء بك الي هنا?... اجابت بعبث طفولى:

لقد اخبرتنى خالتى أنك قادم عن طريق كراتشى, أما جدتى فهى بخير وتسلم عليك.

لعل النساء هن أفضل ناقل للأخبار -- أو بصورة أخرى -- أسوأ خافظ للأسرار. وما هى إلا دقائق إلا وعلمت ما غاب عنى منذ أشهر من أخبار الاهل والاقارب في القارات الخمسة, ثم كانت المفاجأة الأكبر حين قالت: إن

صديقك الشيخ جلال الدين قد تزوج حديثا بفتاة يمنية, ضحكت وقد أسعدنى النبأ, فيالها من غارة عاطفية ناجحة, فكرت يوما أن أقلده فى شجاعته, ولكن من أين لى حسن الطالع الى يملكه؟ سمعت منها بعض التفاصيل ثم استغرقنى التفكير فى النتائج السياسية التى يمكن أن تترتب على ذلك الزواج, اخذنى ذلك بعيدا عن متابع ثرثرة أبنه أخى, التى على أية حال أنستنى بسرعة هموم بشاور ولو إلى حين.
)))

مرت خمس سنوات تقريبا جلسه صفاء خالية من المنفصات والمقاطعات كمثل هذه الجلسة, مرة أخرى بعد كل تلك المدة أعود لاكون سائقه الخاص, "وحارسه الشخصى, ودليله السياحى فى الامارات, بينما هو يجلس الى المقعد الامامى الى جانبى, وخلفنا مندوبه الشخصى فى الامارات غازى مرجان ومعه أفغانى آخر لا أذكره, وتحركنا من أبوظبى في السيارة الفاخرة لصديقنا "المنياوى", وكان ذلك بعد الظهر, وكان البرنامج ان نتناول طعام "الافطار" فى الشارقة -- عند المغرب طبعا -- وذلك فى مكتب المجاهدين الافغان هناك, وهو مكتب تابع لحقانى.
وبعد صلاة العشاء كان مقررا بلقى الشيخ حقانى كلمه فى المسجد الجامع فى عجمان, وفى الحادية عشرة هناك موعد للقائد مع حاكم إمارة عجمان الذى يقع قصره غير بعيد من المسجد الجامع.
كان لدينا ما يكفى من الوقت للحديث الهادئ عما يحدث فى أفغانستان ومن تم موضوع زواجه وما يمكن أن يترتب عليه.
--عن معركة جلال آباد كانت وجهات النظر متطابقه تماما , ولكنه استبعد احتمال التأمر فى المسألة, ولكنه وافق معى على أن الانتصار هناك غير ممكن فى الظروف الحالية للأسباب المتفق عليه, وبالتالى تزداد الحاجه الى حركة سريعة وقوية فى خوست لمنع انهيار الروح المعنوية للشعب الافغانى والمسلمين المحبين لقضيته, وأيضا لمنع حل سياسى يجئ علي حطام كارثه جلال آباد, وانعكاسا لها وبالتالى تضيع فيه كل الآمال والتضحيات الحاسمة السابقه واخبرنى حقانى أنه ارسل الى جلال آباد 300 من رجاله لمسانده المجاهدين هناك,
وأنه كان يهدف من المشاركه هناك الى اكتساب خبرة القتال فى مناطق مفتوحة تحسبا لتطورات القتال فى خوست الذى سينتقل فى مرحلة الى قتل فى الوادى المفتوح هناك .
وعن موقف حكومة "بى نظير" معهم قال بأنه سيء جدا , فقد منعوا عنه المعونات العسكرية التى كانت مخصصه فى السابق للعمليات فى خوست وجارديز, وأنهم بدأو فى إلقاء الأوامر.
وعن زواجه باركت له من البداية, والآن اظهرت له تأييدى الكامل وأنه عمل سيكون له فائده كبيرة للجهاد, والمجاهدين العرب والافغان, خاصه فى الظروف الحالية التى أدار الاعلام الدولى مدفعية الثقيله صوب المجاهدين العرب لتويه صورتهم وتحطيم العلاقة بينهم وبين الشعب الافغانى, وتصوير أن الحرب وشيكة بين العرب الوهابيون وبين الافغان الاحناف, ولكن هذا الزواج سيدعم موقف العرب كثيرا نظرا لمكانته - أى حقانى -- وموقعه من الجهاد الى جانب مكانته الدينيه والاجتماعية كعالم ومجاهد مشهور.
أما زواجه من أهل اليمن فقد يصبح علاقه وطيده مع الشعب اليمنى وهى شعبا مشابه للشعب الافغانى من ناحية الخشونه وعشق القتال والتمسك الفطرى بالأسلام, ثم أنه شعب منتشر فى العالم وجزيرة العرب والسعودية, وبذا فيمكنه أن يكون سندا للجهاد ماديا وبشريا فى المرحلة الصعبة القادمة, واقتحت عند عودته الى بشاور أن تثار ضجة حول هذا الزواج واستخدمه سياسيا , وأن يشارك العرب فى حفل كبير إحتفالا به ولأجل اظهار الدعم والمؤازرة والتآخى الذى يرمز له هذا الزواج.
شعرت أن حقانى ينتابه شيء من الحرج فى ذلك الطرح, فمن المفروض ان تكون تلك المبادرة عربية خالصة, لذا قررت أن آخذ زمام ذلك التحرك عند عودتى.
وقال لى حقانى, أنه سوف يعمل على تنشيط العمل فى خوست فور عودته ويرتب برنامج كبير هناك, فوعدته أن اشارك فى ذلك البرنامج وسوف أحاول جمع اكبر تأييد عربى -- وإلا فأنا متبط بالبرنامج بشكل فردى.
)))
الثلاثاء 4 شوال -- 9 مايو/1990
عدت الى بشاور وكلى أمل ان يكون اندفاع العرب الى جلال آباد قد توقف وأن يتواجهوا الى خوست الى خوست لتحقيق شيء ذو قيمه وتصحيح المسار.

كنت انوى مقابله الدكتور عبد الله عزام وأن احدثه عن زواج حقانى بفتاه يمنية وأن يستفيد فى ذلك الحدث على أوسع نطاق لتقوية مركز العرب فى أفغانستان ومواجهه حملات الدعاية الغربية.
وكان اقتراب معارك خوست قد جعلنى فى حالة من الانفعال والاستعجال لدرجه تسبب لى فى حرج عائلى, فقد نسيت شراء حلوى للاطفال كانوا قد اوصونى بشرائها من الامارات وقد اكدوا وكرروا الطلب وكنت قد وعدت وكررت الوعد, وما ان دخلت عتبه البيت حتى هجموا على حقيبتى الجديدة الضخمة وكنت اشتريتها من هناك, ولكننى ملأتها بالكتب الجديدة ونسيت تماما موضوع الحلوى, وكانت ورطه وحرجا استمر أياما عديدة, لقد صاحوا جمعا فى صوت واحد بعد أن فتشوا الحقيبه: لا يوجد شيء... أين الحلوى؟
وعبثا حاولت أقناعهم بأن الكتب هى غذاء الروح والحلوى غذاء للبدن وأن الروح أهم من البدن, فزادت ثورتهم وخيبتة آمالهم فعرضت عليهم تسوية المشكلة عند بق ال الحى, ورفضوا بغضب, زاد المشكلة أن جدتهم قد شاركتهم فى الثورة وعاتبتنى بشده.
واكتفت بعد ذلك انها كانت تقاسمهم الحلوى والذ رة المشوىة سرا , رغم أن ذلك كان ممنوعا عليها بأمر الطبيب.
دفعت للأطفال تعويضات مجزية, وأشتريت لهم حلوى محلية, ولكنهم حتى الآن لم ينسوا خيبه أملهم فى ذلك اليوم.
)))
كانت خيبه أملى فى العرب أشد من خيبه أمل أطفالى فى الحلوى وبعد اتصالات قليله عرفت ان الحل على ما تركته بل أسوأ, فقد إزداد الهوس العربى فى جلال آباد, واندفعوا نحوها أفواجا فيما يشبه حالة انتحار جماعى نادرة المثال, أو كأنهم الاطفال فى القصة المشهورة الذين اجتذبهم مزماز الساحر فساروا خلفه جميعا حتى قذفهم فى البحر, انتقاما من آبائهم الذين لم يدفعوا له أجره عن خدمته فى تطهير المدينه من الفئران.
كانت التعبئة والحشد تتزايد بين العرب -- وقد ظلت كذلك حتى معركة القطاع الغربى فى ذو الحجة -- فكان كلامى صرخة أخرى فى واد خال.
لم يكن ممكنا بحث أى موضوع غير المشاركة فى جلال آباد, وهكذا انتهت مشاريع فى بشاور قبل بشاور قبل أن تبدأ, فلا شيء فى بشاور سوى الدورة المقدسة هى :
-1سقوط شهداء.
-- 2تشنجات اعلامية.
-- 3وصول ترعات ومتطوعين.
-- 4سقوط شهداء .. وهكذا.
(كان لابد أن اقابل اصدقائ القدماء خاصة أبو حفص وابو عبيده كان ابو حفص قد أصيب اصابه خطيره فى جلال آباد اثناء سفرى -- وقد تم علاجه, وهو يمارس الآن عمله فى "القاعدة" فى الاعمال الادارية, وتولى ابو عبيده العمل كمساعد عسكرى لأبو عبد الله الذى يتولى القيادة المباشرة واصدار الاوامر.
جلست معهما مرة أخرى حتى أعرف المدى الذى وصلوا إليه وحتى اعرض عليهما ما عندى خاصة ما يتعلق بموضوع زواج حقانى والعمليات المرتقبه في خوست. كان غريبا أن أجد أن فأظن لديهم من تردد أو تحفظات تجاه جلال آباد قد تبخر وحل مكانه قناعة وحماسة, وقالا أن الوضع هناك قد تغير الى الأفضل وعرضا على أن أذهب الي معاينه الوضع على الطبيعه, ثم مقابله ابو عبد الله, وعرض وجهة نظرى عليه, قلت بأننى قد كتبت وجهة نظرى فى مذكرة صغيرة قبل سفرى الى الامارات, وقد انتشرت فى بشاور, ونقلها أبو عبيده الى ابو عبد الله فى جلال آباد, وقد وصلنى رأى أبو عبيده أنه أراد أن ينشرها فى مهب الريح بعدما شاهد انتصارات الاخوة وعملياتهم الجيده هناك.
وكرر ابو عبيده وجهات نظرة المعروفه, واعادها بهدوء وتأكيد:
-1لقد استولى الاخوة بالتعاون مع الافغان على مساحات كبيرة من الارض.
-2اثبت الاخوة شجاعة وبسالة فى القتال.
-3نسبه الخسائر معقوله بالنسبه لعملية كبيره كهذه.
ثم طلب منى بثقه أن أرد على تلك النقاط, فكان لابد أن اكرر وجهات نظرى أمام ذلك التحدى, فقلت له:
--1لا عبرة بالمساحات فى الحرب ما دامت قوات العدو العسكرية سليمه ومازالت تقاتل بعزيمة وإرادة.

-2المعركة الحقيقية والصعبه سوف تبدأ داخل المدينه, فإذا كانت خسائرنا نحن والافغان عالية الى هذه الدرجة ونحن مازلنا عند خطوط الدفاع الخارجية للمدينه, فماذا سيكون الوضع اذا وصلنا الى الداخل.؟
-3فكرة المعركة خطأ فى الاساس, وكان من المفروض أن نتوجه الي احدى المدن الضعيفه والشهيرة -- مثل خوست تحديدا -- أو حتى قندهار .
--4قوة العرب صغيرة ولا تتحمل هذه الخسائر, كما لا تتناسب معركة استنزاف طويله عليه الخسائر كهذه, وقرار المعركة عربيا كان خاطئ ويدل على عجز القيادة, وهذه مشكلة العمل الاسلامى فى كل مكان.
شجاعة وتضحية من الشباب الى جانب عدم أهلية القيادة. إذا كيف يكون لدى القيادة عناصر (وخامات) ممتازة كهذه تم تهدرها فى معركة عقيمة غير مناسبة لنا أو الأفغان.
لم نصل الى اتفاق هذه المرة أيضا بالنسبه لموضوع جلال آباد - أما عن المشاركة فى عمليات خوست فقد أخبرنى أبو حفص أنه يمكن توفير 12 شخصا من معسكرات خوست كى يشاركوا معى فى العمليات القادمة, فقلت لهم اننى ارغب فى الشاركة فى عملية الهجوم على تورغار لتكملة مهمة عبد الرحمن.
اعتبرت أن العدد الموعود -- وهو 12 شخصا -- يكفى لتكوين تواجد رمزى فى معارك خوست القادمة, خاصة فى أهم فقرة متوقعة للبرنامج وهى الهجوم علي جبل تورغار للسيطرة عليه.
(لكنهما لم يلبثا أن سحبا ذلك العرض المتواضع فى اليوم التالى حين أخبرانى أنهما سحبا جميع الافراد فى خوست وحتى غير المتدربين وارسالهم جميعا الى جلال آباد !!! بناء على طلب أبو عبد الله.
(وفى زيارة أخرى لهما وكان يسكنان فى بيت واحد من طابقين, وانقل ما كتبت فى أوراقى عن تلك الزيارة, وكانت فى الرابع عشر من مايو 1989:
فى الليل زرت أبو حفص وأبو عبيده وأخبرتهم عن عزمى السفر صباحا الى ميرانشاه". وكانا متحمسين لإرسال الامدادات التى يطلبها ابو عبد الله فى جلال آباد من الافراد والمعدات, شعرت بالأسف لأنهما يندفعان خلف الموجه وليس لهما رأى ثابت, فقد بدأ أنهما مقتنعين بما أقول ولكن تأثير الرجل عليهما عظيما. وذلك واضح من قصه المأسده.
بالنسبه لهما أظن أن عقلهما أحيانا يكون معى, ولكن طول الوقت قلبهما مع أبو عبد الله, ومعظم الوقت عقلهما هناك أيضا.
شعورى تجاههما بالأسف والمرارة أشد, ولكننى شعرت بالارتياح لأننى سوف أسافر وحيدا وأعمل بعيدا عن العرب الذين لم أصل الى شيء إيجابى معهم طوال سنوات, كما أنهم -- فى تقييمى لعملهما -- لم يقدموا شيئا يذكر للأفغان أو لأنفسهم, أو أنهم قدموا أشياء غير مكتمله لأنفسهم ستؤدى الى كوارث. فالتكوين الناقص لأفادهم وعجزهم الفكرى الرهيب سيكون دمارا لعملهم ولحركتهم.
لا شك أن فكرتى تأكدت بأن المنهج السلفى المتحجر إنعكس على باقى النشاط الفكرى والحركى للشباب المسلم هنا, بالذات العمل العسكرى الذى بدأ متحجرا تماما , ويعتم على اسلوب المواجهات المباشرة والشجاعة الحمقاء... أما الجانب السياسى لعملهم فهو صفر.
افتقد عبد الرحمن تماما , أشعر بالحزن أنه غي موجود, اتذكر الآن رحلتى عام 1981 حيث كنت فى حال مشابه, ولكنه كان عاما عظيم القائدة - أشعر بأمل كبير فى نصر الله لنا, وراحة في الابتعاد عن العرب وابتعادهم عنى.
(والآن وبعد ثمان سنوات من كتابتى لتلك "النبوات" القامة عن تدمير العمل الجهادى العربى لنفسه, وبسبب تكوينه الفكرى الجامد وعجزه السياسى, أرى أمامى ذلك الامر حقيقه واقعه ودمارا شبه كامل لعملهم فى كل مكان بدأوا فيه مثل مصر والجزائر ومن بعدها ليبيا, أما السعودية المحضن الفكرى والمالى لذلك التيار, خاصة فى فترة الولادة والنمو, فقد استسلموا تماما للإحتلال الامريكى -- طالما تم بموافقه ولى الامر.

الاثنيين 15 مايو 1989:
فى الصباح الباكر أوصلنى وليد وأمه الي محطة الباصات المتوجهه الى ميرانشاه كنت أوصيهما بشأن بعض الأمور المنزلية , وجلست الى جانب سائق الباص وكان يتكلم العربية, وعلى المقعد خلفنا رجل آخر من خوست, ومعه أمرأتان كان يتكلم العربية, عرفنى أننى عربى, ولم يكن فى ذلك أية مشكلة فى ذلك الوقت, وتبادلت معهما احاديث مختصرة, أفضل فى الغالب الصمت الفرق فى أفكارى ومراقبة الطريق المنطقة من حوله, كان معى

حقيبتان حملتهما عبر الازمة الضيقة القذرة والمتشابكة الى "بيتى" فى ميرانشاه. فتحت الباب فهالنى ما رأيت من فوضة وقذارة, اظن أن أحدهم دخل البيت عبر السور العلوى المشترك مع المستشفى حطم بعض الاشياء وبعثرها, وربما هناك اشياء سرقت, قضيت الليل فى التنظيف والترتيب حتى أجد مكانا مناسبا للنوم, من حسن الحظ أننى تركت سلاحى فى بيت العرب عند آخر زيارة لى هنا, إلا فحتما أن من زار بيتنا وحطمه هكذا كان سيأخذ السلاح معه, ذهبت الى بيت العرب لأخذ سلاحى من هناك, فوجدت خمسة فقط من الشباب , مسئول البيت شاب جزائرى صغير السن اسمه عبد العظيم, سألنى عند دورة سياسية قريبه, (هكذا كانوا يطلقون عى محاضراتى فى المعسكرات) لأن الدورة السابقة قد فاتته, فأعربت له عن أملى فى ذلك.

هجوم... مات قبل أن يولد

أخبرونى فى بيت العرب أنهم يسحبون كل ما تبقى من عناصر ويدفعونهم الى جلال آباد, وأن معظمهم غادر بالأمس, معنوياتهم مرتفعه ومتحمسون للأشتاك هناك, ويتداولون الاخبار المشرقة, مثل أن العرب جمعوا 15 دبابه ويشاركوا على معظم الاسلحة الثقيلة والاستطلاع والاقتحام.
عدت الى " بيتى" البارد المظلم مثل كهف مجور على حافة العالم... ها قد جئت كى أشارك فى خوست !! ولكن أى إمكانية ?... لابد أن اكون البطل الشهير "رامبو" حتى أفعل ذلك !!. ضحكت فى الظلام ضحكة فى حلاوة العلقم. ولا أدرى كيف نمت تلك الليلة.

الثلاثاء 16 مايو:
كان مولوى نظام الدين -- وهو نائب حقانى, يقوم بدور كبير جدا فى عمل الجبهة والتجهيز للعمليات وقيادتها -- وهى نفس الدور الذى كان يقوم به قبلا أخوه الشهيد مولوى فتح الله. ثم الشهيد مولوى أحمد جول.
مولوى نظام الدين رجل نحيف الجسم متوسط الطول داكن البشرة قليلا . يتصف لنبل وشهامة, تصرفاته منضبطه الى أقصى حد لذا فالمعايير الاخلاقية والدينية التى يحاسب عليها غيره قليله التساهل, لذا فهو يتهم بالصرامة ويتجنبونه اذا كان قاضيا , أما فى المعارك فقد عرف عنه البسالة والثبات.
علمت أن مولوى نظام الدين موجود فى ليجاه وانه يشرف على التجهيز للعميات فى ليجاه وبارى. من مكتب حقانى الرئيسى -- قرب المستشفى -- ركبت أحد السيارات المتجهه الى ليجاه وكان فى صندوقها الخلفى شاب عربى مع سبعة من اخوانه يعملون فى ليجاه مع المجاهدين, وكانوا جماعة مستقله غير تابعة لتجمعات بشاور العربية.
كل بقعة من ليجاه والطريق المؤدى إليها يرتبط بذكريات غالية على نفسى منذ دخلتها اول مرة 1982م. ثم فى عامنا الذهبى فى أفغانستان عام 1985, وكان ذلك هو رأى عبد الرحمن وأبو حفص أيضا عندما عملنا معا ضد مطار المدينة, وكانت أول محاولة للعمل العربى المنفرد, كما أنها كانت ناجحة لدرجة غير متوقعة.
وصلنا الى نهاية الرحلة, فى نفس الوادى الضيق الذى كنا فيه عام 82, وكان مولوى نظام الدين فى احتماع مع كومندانات المنطقه, وبعض المناطق المجاورة فى غرفه كانت المسجد القديم لمعسكرنا السابق, تسللت الى الغرفه وجلست على الحافة, ولم يلاحظنى أحد فى الغرفه المزدحمة فالجميع مشغول فى حوار جماعى, خرجت بهدؤ وقمت بجولة فى منطقة الذكريات.
عدت صوب غرفه الاجتماعات عندما شاهدتهم يخرجون منها, رآنى مولوى نظام الدين جاءنى مرحبا ومعانقا بترحاب, وقال لى أنه متوجه فى الحال الى بارى, وسألنى إن كنت سأبقى فى ليجاه أم أذهب معه, فقلت له بل آتى معك. فسألنى: كم عددكم?. وكأنه قد وضع ملحا فى جرح لم يندمل... فأجبته بتلقائية وبدون تركيز كبير: أن واحد فقط.
وربما كانت النبرة مؤثرة بدون أن أشعر فقد أقدم نحوى وعانقنى مرة أخرى وقال ضاحكا بمرح -- ربما ليخفض عنى -- وقال: إن الله واحد... وأنت واحد ولكن الله معك.
سرنى ذلك القول وحسن معنوياتى, ثم ركبنا جميعا فى سيارة بيك آب ذات كبينه مزدوجه. جلس هو الى جانب السائق وكنت انا وراءه على المقعد الخلفى, وبدأت رحلة اكتشفت فيها أن أحداثا كثيرة هامة قد فاتتنى منذ غادرت بارى فى ابريل من العام الماضى 1988.

أهم تلك الاحداث كان الانسحاب الواسع الذى قامت به القوات الشيوعية فى المناطق وتخلت فيه عن مناطق هامة, وكان أخطر تلك الانسحاب وأوسعها مدى هو انسحاب عن المناطق الشرقية من الوادى, مع الطرف الجنوبى الشرقى. ولهذا الانسحاب قصه طريفه نوردها فى موضع آخر/ وكان يؤدى ذلك الانسحاب الى انهيار كامل فى الموقف العسكرى للشيوعيين عندما رافقته مطارده غير متوقعه من جانب المجاهدين, فتحدث ارتباك حاد في صفوف الجيش والميليشيات فتركوا مواقع لم يكن من الفروض تركها فتركوا جبال هامة, ونزلوا الى الوادى فى عملية فرار فى اتجاه المدينه, ولكن توقفت عملية المطارده عندما استشهد صديقنا القديم "منان" الكوتشى, الذى كان يقود رجاله فى عملية المطاردة, فتوقفوا فورا وانشغلوا فى نقل زعيمهم الي الخلف لدفنه.

إن ما حدث فى خوست وقتها كان أشد خطورة وتأثير على الموقف العام فى خوست -- من حيث تعرضها للسقوط -- وبالتالى تأثيره السياسى على الوضع العام فى أفغانستان, لكن "الاعلام العالمى" تجاهل خوست تماما وركز على جلال آباد ليؤكد مرة أخرى ارتاطه بالقوى السياسية العالمية والعمل الوثيق تحت إمراتها ووفق مصالحها العليا.

لقد ركزوا الى حيث يمكن تصنيع الهزيمة فى جلال آباد -- أو المقبرة الكبرى فى أفغانستان -- وصرفوا الانظار عمدا عن المكان الوحيد المهئ لانتصار عسكرى حاسم في تأثيراته.

لاحظت أن إنسحاب محدودا قد حدث فى ليجاه فترك العدو السلاسل الجبلية كلها, وكان يحتفظ أحداها على يسار مدخل الممر المؤدى الى داخل الجبل. لقد تراجعت القوات الحكومية الى حزام القوى على مسافة الوادى تاركة شريط ضيق نسبيا بين سلسله الجبل والحزام الامني الجديد من ذلك الشريط عبرت سيارتنا من ليجاه الى بارى التى دخلناها أيضا من ممرها الطبيعى الذى يربطها بالوادى والذى يبدأ متسعا ثم يضيق تدريجيا . كانت الرحلة تطورا مثيرا جدا بالنسبه لى, فلقد أدهشنى كثيرا ذلك التطور, فقد كانت امكانية تحقيقه هو مجرد حلم بعيد جدا عن أمكانية التنفيذ, ولكننى اراه الآن فجأه بلا تمهيد.

كان الانتقال فى السابق بين ليجاه وبارى لايتم بالسيارة بل بالأرجل أو على الدواب, أما السيارات فعليها العودة الى باكستان من مدخل "صدقى", والدوران فى اتجاه الشمال الشرقى الى مدخل "غلام خان" والدخول من هناك والسير الى بارى على بعد عشرة كيلومترات تقريبا.

وكنا قد حاولنا فتح طريق للسيارات عبر افغانستان بين ليجاه وباى فى العام الماضى (1988م) عندما كنا نخطط للهجوم علي تورغار, وطلبنا من أبو أنيس أن يشق طريقا , لبلدوزر الموجود فى اور, وكان معه سائق أفغانى متمرس هو "روشن جول" وهو أفضل من نفذ عمليات شق الطرق فى باكتيا تحت إمرة حقانى, ولكن سكان القرى فى المنطقة طلبوا منهم التوقف عن ذلك وهددوهم بضرب البلدوزر بصواريخ .RBG فتوقفت المحاولة وكان خوفهم أن يؤدى شق الطريق الى أن يقوم الطيران بقصف القرى على جانبيه كما هو العادة.

لكن المجاهدون تفاهموا مع سكان القرى فيما بعد وشقوا الطريق وبدأ العمل فيه فى هذا العام 1989م.

كانت رحلتى الاولى مع الشيخ نظام الدين فى "السفر" من ليجاه الى بارى عبر الشريط الصحراوى الضيق لاتخلو من خطورة شديد لسببين, الاول هو الألغام التى كانت مزروعة قبلا -- وقد رفع المجاهدون بعضها ما يكفى لمرور سياراتهم من بين بعض الحقول المعروفة وقد شاهدت احد تلك الحقول ونحن نعبر فى ممر من وسطه, وكان مزروعا بين دفتى جبل يفصلها وادى من مسحوق الصخور المفتته الناعمة, وفى مثل تلك الاماكن الترابية التى عبرناها, يمكن لأى عميل حكومى زراعه ما يشاء من انواع الالغام المضادة للأفراد أو الآليات.

الخطر الثانى هو الطروق الدفاعى للعدو, والذى يشاهد تلك الساحابه الهائلة الاترة الناعمة التى تلاحق سيارتنا وهى تمرق بأقصى ما يمكن لسائقها أن يضغط به على دواسه البنزين.

كان هناك حصنان قويان للعدو هما حصن "مالانج" وهو أول مركز قوى نعبر أمامه, ثم حصن " نداد" الاكثر قوة وشهرة.

كان طبيعيا أن أشهر بالخوف ونحن نمرق بتلك السرعة من فوق ارض متربه غير ممهدة, وأمامنا حصون عتيده, مزودة بالدبابات وقطع المدفعية, كنا لم نقطع مئتى متر حين أوقف السائق سيارته بعنف وقفز خارجها, وبدون اسئلة قفزنا جميعا خارجها, اشار السائق فى اتجاه جهه من الاشجار والاعشاب الطويلة, وقال انه شاهد رجال مسلحين خلفنا, وربما كان كمينا معاديا , إنتشرنا فى المنطقة تحسبا لما قد يحدث وتقدم اثنان من المجاهدين نحو الاجمه وهم يصيحان بصوت مرتفع مستفسرين عمن يكون هناك, فرز عدد من الرجال

المسلحين وعرفا بنفسيهما أنهم ضمن مجموعة من المجاهدين المعروفين فى طريقهم الى عملية ضد العدو فى الوادى.
تنفسنا الصعداء, أو بالأحري تنفسوا هم أما أنا فلم أجد ما أتنفسه, فما كدنا نترك حقل اللغام, وقد ذكروا أسماء بعض من قتلوا بداخله, فإذا بنا نقع فى شبه كمين والمنطقه فى معظمها تصلح للكمائن, علينا أن نسير مسافه طويله بينما دبابات العدو الى يسارنا, والمشكلة اننى جالس الى جوار النافذه اليسرى, وأتوقع فى كل لحظه أن تمر قذيفه دبابه من أمام وجهى كى تخرج من النافذه اليمنى.
سألت الشيخ نظام الدين عن امكان ذلك, اى أن تطلق الدبابات علينا نيرانها, فقال أن ذلك قد حدث بالفعل منذ أيام, وأصيبت سيارة للمجاهدين وقتل من فيها, ثم طمأننى قائلا : ولكنى توكلت علي الله ولا تخف, أردت أن أقول له شيئا فلم أجد لا الكلمات ولا أوتارى الصوتية نفسها, حاولت أن اركز نظرى على الطريق, أمامى حيث الحلم البعيد البعيد... بارى الحبيبة التى لا أعرف على أي صورة سوف أصلها... حيا أو ميتا ? سليما أم مقسما الى أجزاء صغيرة? تجاهلت الجهه اليسرى تماما وحاولت ألا أنظر اليها مطلقا ... ولكننى ضبط نفس اختلس النظر اليها عدة مرات, أغلقنا نوافز السياة لتفادي الغبار الكثيف.
من المفروض أن تكون السيارة حارة من الداخل ولكننى شعرت بالبرودة تسرى فى بدنى, واكتشفت ان مولوى نظام الدين يتحدث معى كان يقول: الحمد لله مررنا من أمام حصن مالانج بدون أى مشكله... أردت أن ابتسم لولا أنه قال: نحن الآن أمام حصن نداند هل تراه?... هذا ذوالأبراج العالية. نظرت بسرعة من طرف عينى رأيتها تلك الصورة المطبوعة فى خيالى ولا تمحى لحصن " ندانه" فقد كنا نقصفه بالصواريخ من الجبال المقابله له منذ عامين مع عبد الرحمن ومجموعة "والى جان" كنت اعلم من أيامها أن فى ذلك الحصن ثلاث دبابات, ياترى كم دبابه به الآن?. غلقت عيناى قليلا حتى لا أشاهد القذيفه الموعودة وهى تمرمن أمام.
مرت دقائق طويلة جدا , حتى انحرقت بنا السيارة جهه اليمين لقد دخلت الى مضيق بارى وإذا الشيخ نظام الدين يلتفت نحوى ضاحكا باستبشار وفرح غامر ؛ دوشمن ختم ... دوشمن ختم« -- أى أن العدو قد أنتهى واسترسل قائلا : هل تتصور أن نمر أمامهم هكذا فى ضوء النهار ولا يطلقون علينا رصاصة واحدة??
بالطبع لم أكن أتصور... بل كنت اكثر تصميما وبكل تأكيد ألا أكرر تلك الرحلة مرة أخرى, وتحت أى ظروف.
)))
عند مدخل مضيق بارى مجموعة من التلال المنخفضة ذات أشجارقصيرة وقد تخندق فى ثنيات التلال وتحت ظلال الاشجار مجموعة كبيرة من المقاتلين البن اب -- من "جماعة المجاهدين" -- وهى شرط "جماعة الجهاد العالمى" وكلاهما تحت قياد علماء شباب. وبينما عملت الاول غالبا فى مناطق نشاط جلال الدن حقانى -- عملت الثانية فى مناطق باكتيكا تحت توجيه مولوى نصر الله منصور, أو قياداته الميدانية مثل أرسلان رحمانى وغيره, وكلا الجماعتين تنتمى الى تيار العلماء الأحناف من المدرسة "الديوبندية" المتمسكة بالجهاد مع الالتزام المذهبى.
وقد ساهمت الحركتان مساهمة فعالة فى سيرة الجهاد فى أفغانستان وقدمنا مئات -- إن لم نقل آلاف -- من الشهداء, قد بدأت مشاركتهما النشطة فى حدود عام 1984, وكان تأثيرهما ملموسا -- حسب تجربتنا الماشرة -- فى محافظتى باكتيا وباكتيكا, ولكن الحركتان لم تقفا الى جانب المنظمات (الاخوانية) أو تلك "السياسة" التى لا تهتم كثيرا بالعمل العسكرى.
وقد كان لهما دور غاية الاهمية فى مسانده حركة طالبان عام 1995 التى تماثلهما من حين التكوين الفكرى والاجتماعى وأيضا الولاء للعلماء الكبار فى باكستان من أمثال مولوى فضل الحمن ومولوى عبد الرشيد أحمد.
وكان يعيب الحركتان ضعف العمل التنظيمى -- واختراق المخارات الباكستانية لهما الى درجه خطيرة, وقد ساهم كلاهما فى الجهاد فى كشمير وقدما عددا كبيرا من الشهداء هناك.
قبل قدومى مع الشيخ نظام الدين الى بارى, تمت فى الاشهر الماضية عمليات عديدة ضد حصنى نداد الذى استولى عليه المجاهدون مرتين وستعادته القوات الحكومية, وشارك "البن اب"-- كما يطلق عليهم فى الجبهة -- شاركوا بنشاط وقدموا شهداء فى العمليتين, وتميزوا بشجاعة غير عادية, منذ أيام قبل حضورى ذهب أحدهم لمهاجمة الحصن منفردا وتقدم نحو مجموعة من الجنود الجالسون فى ساحة مقابله للموقع, وكانوا يحسبونه من جنود اليليشيا, ولما اقترتب منهم فتح عليهم نيران رشاشه فقتلهم جميعا , ولكن زملائهم من الجنود قتلوه على الفور.

على هضبه صخرية مشجرة شاهدت عدد من المجاهدين منبطحون خلف الصخور والاشجار, يطالعون بالمنظار المقرب, ومن النادر -- أو بالاحرى لم أشاهد قبلا - مجاهدين على هذه الدرجة من الجدية والحيطة, فتركت موكب مولوى نظام الدين وصعدت اليهم, وبعد أن قطعت ثلث المسافة اليهم, صاح على أحدهم بحده. إن التزم بالمدق لأن الجبل ملغوم !! إنها لعنه الالغام فى كل مكان.
صعدت إليهم واخذوا يشرحون لى المنظر الذى أمامى, كانوا يراقبون "جنداد" والمواقع المتناثرة حولها. وخلف نداد فى العمق منطقة ظهرت كثيفه الاشجار مثل غابه واسعة, ظننت وقتها أنه اذا دخل المجاهدون تلك المنطقة بعد الاستيلاء على جنداد فسوف يكونوا أمنين من الهجمات الجوية, ويصدون بسهولة الهجمات الارضية, كما أن قربهم من مركز المدينه يمكنهم من شن هجمات قصيرة وقوية تنهى المعركة بسرعة, وقد كلمت مولوى نظام الدين فيما أفكر فيه فقال إن لديه نفس الافكار, لكن احداث الاشهر التالية اثبت أن تلك المناطق الريفية المشجرة هى موطن لميليشيات قوية جدا , تحتمى فى مناطق يسهل الدفاع عنها, ونجحت فى ضد هجمات عديده للمجاهدي فيما بعد.
خلف تلك التبه الملغمة كان هناك ساحة واسعة, وداخل التبه من الخلف عدد كبير من المغارات التى تعمل كمراكز ادارية ومخازن ومخابئ. وعلى بعد ثلاث مئة متر يأتى مضيق "بورى خيل" الشهير والقلعة الحكومية القديمة الى الشرق, وعلى الجانب الشرقى للمضيق حفر المجاهدو عدة مغارات كبيره, ووضعوا راجمة أحادية لصواريخ صقر.
سرنى كمية الحفريات الجديدة فى المنطقة, وتذكرت جلال أباد ومواقع المجاهدين التعيسه هناك.
قابلت "الدكتور نصرت"الذى يتولى قيادة "غوند سلمان الفرسى" أحد التشكيلات العسكرية الرئيسية الجديده لدى حقانى, والدكتور نصرت هو أخو ؛نقيب الله« الضابط الذى كان قائدا لقاعدة اور وقتل فيها نتيجة القصف فى حملة عام 1986, وقد فقد نصرت الله جزء من قدمه أثر انفجار لغم فى عملية كان يقودها بنفسه, ولم يؤثر ذلك على اسلوبه فى قياده رجالة فى العمليات الخطرة مجازفا بنفسه, ولم يؤثر ذلك على اسلوبه فى قيادة رجاله فى العمليات الخطرة مجازفا بنفسه, وكان شابا وسيما فى الثلاثينات من العمر يرتدى نظارة طبيه انيقه وخفيفه, ويتميز بالنظام والجدية, وقد قام نصرت الله بدور جيد مع غوند سلمان الفارسى فى العمليات التالية وحتى فتح خوست.
أنهى مولوى نظام الدين مباحثاته فى ذلك المركز, وقد صافحت بعض اصدقائى القدماء هناء, بما فيهم نصرت الله, وشربت معهم الشاى الأخضر, تم تحركنا مرة أخرى بالسيارة الى مركز "سمير جول" ثم مركز ؛بير سيد أحمد« الذى توسع فيها بعد واصبح أسمه "مركز خليل" -- على اسم خليل أخو مولوى حقانى -- ومنه اديرت عمليات فتح خوست وما قبلها من معارك.
وأمام ذلك المركز شاهدنا دبابتين فى حفرة واسعة, وذلك ضمن تجهيزات المعارك المقبلة, صلينا المغرب فى الشعب الضيق القصير الذى به مركز " بير سيد أحمد" وكان البلدوزر قد مهد طريقا طويلا داخل الشعب الضيق, وبدأوا فى حفر مغارات على الجانبين, لقد بدأت تتكون فى ذلك المكان أهم وأخطر قاعدة لرجال حرب العصابات فى باكتيا كلها, إنها القاعدة التى اكلت المدنيه وافترستها, ولم يكن غريبا بعد ذلك أن تهاطلت عليها صواريخ سكود, واصبحت الساحة التى أمامها والطريق المار الى جوارها مليئ بالحفر الواسعة التى تحولت الى برك ماء عميقه نتيجه مرور جدول ماء فى المنطقة, فتختزن تلك الحفر الماء, لا يمكن أن يعبرها لا رجل يجيد السباحة, وقد أغلقت السيول المتتابعة تلك الحفر فيما بعد.
بعد الصلاة توجهنا الى الحدود عند نقطه غلام خان فوجدنا البوابه مفتوحة -- وهى عبارة عن حبل ممتد بين برميلين, ولم نجد حرسا , واصلنا المسير الى نقطه (حص دار) وكانت مغلقه بينما عريف الميليشيا فى غرفه قريبه رفض فتحها لنا وقال ان الوقت قد انتهى, قالها بغضب ونفاذ صبر, فنزل اليه وفد للتفاوض -- وربما دفعوا له الاتعاب -- فجاء وفتح البوابه أى أرخى الحبل كى نمر فوقه, أدركنا الصلاة فى مسجد المهاجرين وتناولنا طعام العشاء وقضينا ليلتنا فى ضيافة مولوى نظام الدين.
(خلال ثلاثة أو أربعة أيام أنطفأ فجأة ذلك البرنامج المتوهج, وتوقف الهجوم الكبير قبل أن يبدأ, وكان ذلك على خطوات الى الخلف.

الخطوة الاولى:

وصلت أنباء من مدينه خوست, من أشخاص مسئولين هناك وعلى اتباط مع المجاهدين, قالت الاخبار أن أفراد كثيرين من قبيلة "جربز", قد حضروا الى مدينه خوست وتلقوا أسلحة وأموال من الحكومة -- فى مقابل أن يكون ولاءهم لهم, أثار الخبر ضجه بين المجاهدين, وكان الخوف من يعمل هؤلاء الذين أخذوا الاسلحة عمليات عسكرية ضد المجاهدين, خاصة وأن مناطق قبلية جربز ذات أهمية حيوية بالنسبه لنشاط المجاهدين.
إجتمعت قيادات المجاهدين فى المنطقة وأبلغوا الامر لرؤساء قبيله جربز الذين تعهدوا بحل المشكله داخليا وسحب السلاح من المتآمرين والذى يرفض منهم سوف يعاقبونه بمهاجمه بيته وإحراقه.
فى صباح الاربعاء (17/5) قر الحدود قرب الحدود قابلت عدة سيارات مليئة بالمسلحين بالرشاشات الخفيفه والمتوسطه وقوازف RBJ, وتطلق اناشيد حماسية من مكبرات للصوت, كانت تلك جزء من استعراض للقوة على الطريق العام تقوم به قبيله جربز لاظهار عظلاتها من جانب, واظهار انها تقوم بواجبها من ضبط المخالفين الذين تلقوا اسلحة واموالا من حكومة خوست, وقد أشاعوا أنهم قد صادروا فعلا 300 قطعة سلاح من أبنائهم المارقين, وأنهم مازالو يتابعو الباقين.
كان استنتاجى وقتها أن قبيله جربز قد اتخذت من الحادث ذرعية للقفز خارج برنامج الهجوم على المدينة والذى يجرى الاعداد له.
أما موضوع مصادرة الاسلحة, فالأصح أنه عملية توزيع للاسلحة داخل القبيله, فهذه الاسلحة لن تسلمها القبيله للمجاهدين, فأين ستذهب إذن؟ الاجابه أنها ستوزع بطريقه أكثر عدلا بين الجميع.
وهكذا يخرج الجميع مسرورون, حكومة خوست فى سرورة لأن قبيليه جربز يوزنها الكبير لن تشارك فى حملات على المدينه.
والمجاهدون فرحون لأن القبيله صادرت السلاح من المارقين -- وشرقاء القبيله فرحون لأنهم سيقاسمون المارقين فى "الغنائم" التى حصلوا عليها من الحكومة خوست.!!

الخطوة الثانية:
قامت بها حكومة خوست بمهارة فائقه ليست غريبه على الشيوعيين الافغان.
لقد عرضت تلك الحكومة على المنظمات الجهادية المعتدلة أن تتوسط بينها وبين المتشددين, والذى لا يخضع لحكم الوساطة تقاتله باقى الاطراف (!!) طبعا منتهى المهارة الشيطانية, حتى مجرد طرح تلك الفكرة سوف تسمم الاجواء بين الاطراف "الجهادية" التى هى مسممة أصلا , أما إذا وافق المعتدلون على لعب دور الوساطة فسوف يجابهون بحرب من المخلصين والمزايدين على السواء, عندها لن يجدوا نصيرا لهم سوى الحكومة الشيوعية فينضمون إليها علنا , وفى ذلك نصر هائل لها, ليس على مستوى خوست, بل على مستوى الدولة كلها, لأن صفوف المقاتلين سوف تنقسم ويقع بينها قتال داخلى فى كل مكان تقريبا.
لم تظهر ردة فعل واضحة فى صفوف المجاهدين لكن إذاعة خوست -- وأيضا اذاعة كابل - لم تكن تكل أو تمل من الحديث عن المصالحة الوطنية والسلام بين أبناء الوطن الواحد, وتكيل الشباب للباكستانين والعرب (الوهابيون وآكلى السحت) كما سمعت اذاعة خوست تصفهم, ثم أعقبت ذلك بأغنية نسائية فهمت منها مقطعا واحدا كان يتردد كثيرا وكان يقول ؛ السلام عليكم... وعليكم السلام«, قد ذكرتنى بأغنية قديمة لمطرب صعيدى مرح, ولا أدرى إن كان ذلك مصادفه أم سرقه فنيه -- أو تعاون ثقافى بين مصر وحكومة كابل بعد أن زادت زيارات المصريين من أزهريين وصحفيين وفنانيين لحضور مؤتمر, أو لزيارات خاصة الى كابل.

الخطوة الثالثة:
تأجل تنفيذ الهجوم عدة مرات, وذلك شيئ طبيعى جدا هنا, لأن هذه هى القاعدة, لكن الشيء غير الطبيعى هو أنه بعد كل اجتماع بين القادة كانت إذاعة خوست وكابل تزيعان قرارات الاجتماع والموعد المقرر للهجوم باليوم والساعة, وأسماء القادة الذين حضروا, وماذا قال كل منهم فى الاجتماع.!!
لم أصدق ذلك, فى البداية ولكن جاءنى اكثر من تأكيد.
قابلنى مولوى فضل الرحمن -- أمير جماع المجاهدين (الانصار فيما بعد) وقال بأن كل الكومندانات تقريبا قد تراجعوا تماما عن برنامج الهجوم على المدينة بعد أن أجلوه عدة مرات, وأضاف أنه يشك فى أنهم استلموا أموالا من حكومة خوست.

كان فضل الرحمن متحمسا للغاية للهجوم على خوست, لكون الموقف "سيءجدا " فى جلال آباد, واتفقنا معا علي أن الحل الاقل هو أن يقوم بتلك المسئولية جلال الدين حقانى مع المخلصين الذين يوافقون معه, معتمدين على الله, وعلى ما تحت أيديهم من امكانيات.
والنتيجه هى أن هذه المحاولة, ماتت قبل أن تولد, ولا أدرى ماذا سيفعل حقانى فى المرحلة المقبله.
)))

حميد جول... ما دورة؟

تنظر الأوساط الجهادية والاسلامية الى حميد جول كرجل اسلامى مخلص وقف الى جانب "الجهاد الافغانى" حتى تم استبعادة من رئاسة جهاز الاستخبارات ISI فى أوائل عهد حكومة بى نظير بوتو.
وكان حميد جول قد تسلم قيادة ذلك الجهاز الرهيب -- من الجنرال اختر عبد الرحمن المؤسس لذلك الجهاز, وقد قاد من خلاله عملية التدخل الامريكى فى أفغانستان, وكان نفس الجهاز هو المؤسسه الحقيقيه التى تدير باكستان فى عهد ضىاء الحق.
كان دور جهاز الاستخبارات ISI فى أفغانستان هو تنفيذ استراتيجية عمل أمريكية, ولكن فى مقابل عائد, مادى وسياسى, اكبر مما كانت امريكا ترغب فى دفعه لولا حاجتها الماسة لدور باكستان. لذا عندما وصلت الى اتفاق مع السوفييت, انقضت امريكا على باكستان, واستعادت منها حل ما كانت أخذته, وحرمتها من تقسيم الغنائم فى المنطقة, وأوقعت بها أشد وأقسى عقاب بأن اعادت أبنه بوتو الى الحياة السياسية وولتها مقاليد البلاد.

عند إزاحة أختر عبد الرحمن -- بناء على طلب امريكا -- تولى حميد جول وقد اقتنعت امريكا بذلك -- بالتأكيد لأنه اكثر ملاءمة من سلفه أختر, ولكنه لم يكن الحل المثالى أو الرجل المثالى مثل ذلك المنصب الاخير, لذا ازاحته أمريكا فى حضم مهزله جلال آباد ووضعت بوتو أحد رجالها -- أى رجال امريكا -- المخلصين وهو الجنرال كاللو.

لقد نفذ حميد جول -- فى اثناء فترة رسالته -- ثلاثة كوارث مصطنعة أضرت المجاهدين أشد الضرر - الاول كان السماح للسوفييت دخول خوست والخروج فيها بسلام, والثانى هو السماح لهم بالانسحاب من المدن الافغانية الى خارج افغانستان بدون تعرضهم لهجمات المجاهدين -- إلا من بعض العليات الفردية التى ازعجت السوفييت كثيرا الى درجه التهديد بوقف الانسحاب وذلك فى نوفمبر 1988.

والثالث كنت معركة جلال آباد التى تسببت فى أعلى خسائر بشرية للأفغان والعرب فى كل الحرب.

وإذا سالمنا جدلا أن المعركة لم يكن مرتبا لها منذ البداية باتفاق الامريكان والسوفييت من أجل احداث هزيمة للأفغان تبرر جلوس قياداتهم الى مائدة المفاوضات والتوقيع على صك الهزيمة وتشكيل حكومة مشتركة مع الشيوعيين.

إذا سلمنا بأنها لم تك كمينا مجهزا منذ البداية فمن المؤكد أن الاستخبارات الباكستانية ISI قد تدخلت بالفعل لمنع سقوط المدينه, أو لمنع المجاهدين من العمل على محاور قد تؤدى الى سقوط المدينه, وهذا مؤكد بشهادة أفغان وعرب شاهدوا الواقعه ميدانيا , وأن لم يدركوا فى وقتها مغزى ما يحدث. فعندما وصل المجاهدون الى قرية سمر خيل, كان أمامهم ثلاث خيارات, إن هم قرروا مواصلة التقدم.

الخيار الاول:

التقدم صوب المدينه على الطريق العام, وبذلك سيتقدمون الى اقل من عشرة كيلومترات الى ان تقابلهم دفاعات المطار القوية.

ويقع المطار الى يسار الطريق (غرب), وفى مقاله مزارع كثيفه الاشجار وقرى, والمعركة من اجل السيطرة على المطار ستكون معركة مواجهه صعبة, إلا إذا تمكن المجاهدون من احتلال المنطقة الزراعية المشجرة المقابلة للمطار ثم يهاجمون المطار من جبهته الطويله (اكثر من 3كم) ويلزمهم بالطبع التقدم أمام المطار من جهه المدينه لقطع الطريق بينهما ومنع الامدادات القادمة من المدينه الى حامية المطار.

الخيار الثانى:

وهو الافضل والاخطر وهو أن ينحرف المجاهدون الى يمين الطريق العام ثم يتقدموا صوب المدينه عبر القرى والاشجار الكثيفه والحقول, متخطين المطار ومتجنبين الطريق العام, ويمكنهم الاستمرار فى المضى الى الامام بدون أى عائق ذو قيمه حتي مركز المدينه وحتى الى طرفها الشمالى من طرف كابول.

والتسلل أو الهجوم من ذلك الطوق الزراعى الى أجراء المدينه الممتدة فى موازاتهم هو أمرممكن ويتحرك لهم حرية عمل واسعة ومبادرة غير محدودة, كما أن عثور الطيران عليهم أو أصابتهم بصواريخ سكود ى هى أمور أقل احتمالا من أى وضع آخر.

والتقدم عبر هذا الطوق الزراعى المحصور ما بين نهر كابل, والطريق العام هو خيار غريزى لرجال العصابات, وهذا ما حدث فعلا , إذا كانت أول اندفاعة للمجاهدين هى على ذلك المحور, وقطعوا مسافة لا بأس بها داخل القرى والمزارع متخطين المطار, وفى وضع يؤهلهم, حتى ولو لم يواصلوا التقدم, يؤهلهم لمهاجمة مركز المدينه أو المواضع القريبه منه ثم تهديد الطريق بين المدينه والمطار وتهديد المطار نفسه على طول المدرج أى لاكثر من ثلاثة كيلومترات.

والذى حدث, حسن رواية أحد العرب الذين اندفعوا مع الافغان فى هذا المحور الزراعى, أن المجاهدين توقفوا القضاء ليلتهم فى القرى طالبين تعزيزات من إخوانهم فى سمر خيل, وكانوا قد قطعوا مسافة كبيرة بدون أن يواجهوا أى قوات, ومازالت القرى التى أمامهم خالية من أى تواجد معادى, ولكن الى حدث أنه بدلا من أن تصلهم الامدادات صباحا , وصلهم ضابط استخبارات باكستانى, وأصر عليهم أن يعودوا أدراجهم ويتمركزوا على طرف المطار الجنوبى, فيما بين جسر "سراتشه", وقرية كريز كبير, وأن يستولوا على المطار أولا قبل التقدم صوب المدينه, لم يكن ما يقوله الجاسوس الباكستانى ليقنع طفلا أفغانيا.

أنهم الآن فى المزارع ووسط الاشجار والقلاع الطينيه فى القرى انها بيئتهم القتالية الفطرية الي استخدموها لسنوات طويله, فكيف يقتنعون يتركها فى منطقة صحراوية مكشوفه كتلك التى يقترحها جاسوس جهاز (ISI) الباكستانى.؟

بقى المجاهدون في مواضعهم فى انتظار قدوم التعزيزات اليهم, رجع الجاسوس وبقى المجاهدون منتظرون, وطال الانتظار حتى جاءت القوات, قوات العدو, وتمركزت في القرية المقابلة لهم وبدأت الاشتباك, لو وصلت تعزيزات المجاهدين لكان ممكنا الالتفاف حول القوات المعادية ومواصله التقدم لكن شيئا لم يصل, فاضطروا فى النهاية الى الانسحاب لكى يجدوا أن معركة كبرى مقامة على حاف المطار الجنوبية, وكانت تلك نقطة تحول اساسية فى معركة جلال آباد.

لقد نجحت الاستخبارات الباكستانية (ISI) وكان حميد جول مازال علي رأسها, نجحت في منع تقديم المجاهدين على محور الهجوم الصحيح, وجذبتهم بقوة الى منطقة القتل المحدرة, والميدان المجرب والخاطئ حتى انتهت حملتهم بالفشل, وتحولت جلال آباد الى معركة استنزاف طويله مملكه اكلت من الارواح والاموال ما جعلها ؛هولوكوست« الجهاد الافغانى.

والسؤال هو عن دور حميد جول في تلك المأساة؟ هل كان يمارس قياد معلية على جهاز استخباراته أم أن أميركا أنشأت جهازا سريا داخل جهازه السرى, ومارست به ما تريد من مشاريع فى أفغانستان بل وحتى باكستان.

ذلك مستبعد نتيجه شخصية حميد جول القوية -- ولكنه ليس بمستبعد على التفكير واسلوب العمل الامريكى, فقد اخترقت جهاز الشرطة الاكستانى وإستخدمته فى ضرب العرب عام 93 في برنامج بوليس رهيب تحت قيادة القنصل الامريكى فى بشاور, وبدون إطلاع أو مشاركة حكومية اسلام آباد رئاسة نواز شريف.

وكذلك فعلت اميركا فى الجيش واجهزة الخدمة السرية الاخرى في باكستان.

الخيار الثالث :

وهو الاكثر غباء, وهو ما فعله العرب, أن يتقدموا غربا فى المنطقة شبه الصحراوية ويهاجموا حواف الطريق الدفاعى فى المنطقة.

ومع القائدين خالد وساز نور تقدم العرب لما يقارب خمسة عشر كيلومترا داخل تلك الصحراء واستدلوا على العديد من "البوسطات" الحكومية وهذا ما فتح شهيتهم وأثار حيويتهم للعمل والتضحية, ولم يفهموا, لاهم ولا القائدين خالد وساز نور, أنهم كلما تقدموا فى ذلك الاتجاه اصبحوا مكشوفين اكثر وممتدين علي ارض غير مناسبه وبكثافه, عددية وتسليحية غير مناسبة, وهذا شجع العدو على محاول اسرهم أو ابادتهم فى حملة القطاع الغربى فى ذى الحجه, ولما فشل فى مهمته لجأ -- عمدا أو بدون عمد -- الى خطه اكثر بساطة ومعالية, لقد ترك العرب مجمدين في مواقعهم التى استولوا عليها ثم جمدهم فيه, لا هم قادرون على التقدم اكثر من ذلك لأن الارض مكشوفة والعدو متفوق جدا فى الداابات والمدفعيه والطيران والافراد. ولا هم يمرؤون على ترك تلك المواقع الرديئة -- لأسباب نفسيه وعقليه فالعرب أساسا هم الذين "فتحوا" تلك المناطق وفيها استشهد إخوانهم كما أن نظرتهم للإنسحاب هى نظرة أخلاقية ودينية, فالانسحاب هو عمل جبان أخلاقيا , وهو فرار من العدو ومن الموبقات دينيا.

لذا لم يفكروا أصلا في الانسحاب من أجل تعديلات مواقعهم, ولا نقول اعادة النظر فى الموقف بزمته.

والنتيجة هى نزيف متواصل من الدماء, وكان قتلى العرب فى جلال اباد بالمئات بينما لم يتعد قتلاهم فى كل أفغانستان وطول فترة الجهاد العشرات (أقل من مئة شهيد.(

(ومع كل ذلك كان الافغان والعرب يعتبرون "حميد جول" صديقا للجهاد وكانوا يلمسون تدخل رجاله فى العمل القتالى للأفغان الى درجه التوجيه المباشر للعمليات كما " هو الحال فى جلال آباد. فكان من المفترض أن يتشعروا الخطر الذى يعنيه إزاحه صديق الجهاد "حميد جول" ومجئ أحد رجال "بى نظير "عدوة الاسلام والمسلمين وهو الجنرال "شمس الدين كاللو."

إن جهاز الاستخبارات الموجود بقوة غالبة على ساحة جلال آباد قد وقع فى أيدى معاديه, ألا يدعوا لك الى التربث وبحث الموضوع من جديد?. ولكن الى حدث هو عكس ما كان مفروضا أن يحدث, لقد زاد الهياج العربى, وتضاعف المجهود العربى عسكريا واعلاميا , وتضاعف عدد الشهداء بشكل مذهل... ولكن الاشد

غرابه أن تستمر تلك الدوامة حتى نهاية الحرب عام 1992... والسؤال الاكبر... هو لماذا كان هذا الموقف العربى فى جلال آباد؟؟
حتى الآن لم أصل الى إجابه شافيه.
(ثم كتبت المقال التالى قبل شهر تقريبا من "حرب ذو الحجة" التى خاضها العرب في جلال آباد, وكان فيها الكثير مما يحتم التوقف قليلا , وإعادة تقييم الاوضاع الافغانية عامه ومعركة جلال آباد خاصة.
لقد تبرأت حكومة المجاهدين من قرار معركة جلال آباد, بعد أن ظهر فشلها وفخامة الخسائر البشرية فيها, والبصمات الامريكية كادت أن تفضح ولكن القرائن ظلت قائمة... والعجيب أن قيادات العرب أقدمت رغم كل ذلك, وفتحت اكبر مقبرة للعرب فى أفغانستان فى معارك جلال آباد التى استمرت حتى فتح كابل فى ابريل 92 ثم مارست إرهابا فكريا على معارفيها -- أى معارضى معركة جلال آباد وفتحت عليهم "المدفعيه الشرعية" فاصبحوا ؛ المرجفين فى المدينه« و"المثبطين" أو " أعداء الجهاد بعلم أو بدون علم« أو حتى أن يوصف أحدهم بأنه "بروتس.!! "
للعلم بروتس هذا كان صديقا حميما للقيصر ولكنه شارك فى مؤامرة اغتياله وطعنه مع الطاعنين فقال له القيصر وهو يتلقى طعنه الغدر قولته الشهيرة: حتى أنت يا بروتس.
لقد عزلت بى نظير بوتو رئيس جهاز الاستخبارات "حميد جول" صديق الافغان والعرب, وآخر الاقوياء المتبقين من عهد ضياء الحق.
لقد سقط حميد جول وسقطت المخابرات فى يد رجال بى نظير أعدى أعداء الاسلام فى شبه القارة الهندية, وكانت أول هداياها للجهاد والمجاهدين هى مقبرة جلال آباد الأوسع من نوعها فى كل الحروب الافغانية الرهيبه.وانتهز هذه الفرصه كى انشرها فى تلك الموسوعة السرية المسماة ؛ثرثرة فوق سقف العالم«. أو "صراصير فوق سقف العالم" كما اسميتها في لحظة ضعف معنوى.
وإليكم المقال:(
(نشر فى جريدة العرب الصادرة من لندن بتاريخ 6/7/89.

ماذا وراء التغييرات الاخيرة في جهاز المخابارت العسكرية الباكستانية.؟

اسبعاد "حميد جول " وتعيين "ك--اللو"
إحكام قبضه بى نظير على السياسة الداخلية
(تغييرات كبيرة قادمة فى سياسة "بوتو" الافغانية.
(الاعلام الامريكى فى جنوب آسيا مراقب أم صانع أحداث؟
(تصريحات قادة المنظمات الافغانية أضرت بصديقهم "حميد جول."
(الفشل "المصنوع" فى جلال آباد بالضحايا التى ستذبح لاجله.
بشاور الجمعة 2/6/89 الموافق 28 شوال 1409

كان اقصاء الجنرال حميد جول مدير المخابرات العسكرية فى باكستان وإحلال الجنرال المتقاعد "شمس الدين كاللو" بدلا عنه حدثا هاما على صعيد السياسة الداخلية هنا.
بل أن الصحفى الاكستانى البارز" مشاهد حسين" وصف الحدث بأنه أهم قرار سياسى تتخذه السيده بوتو توليها رئاسه الوزراء فى ديسمبر الماضى.
ولاحظ ايضا السيد " حسين" بأن اقضاء "حميد جول" جاء وسط هجمه عنيفه تعرض لها جهاز المخابرات العسكرية الباكستانية شجبت دورة في الحرب الافغانية, وقد أشعلت هذه الحملة وسرعتها الصحافة الامريكية, والجدير بالذكر أن الأعلام الامريكى يلعب منذ مدة دورا بارزا فى تغطية أحداث جنوب آسيا ويكاد يكون دوره ذا صبغة توجيهيه للأحداث.
وكان ابرز تلك الحملات الاعلامية تلك التغطية الغير عادية للانتخابات الباكستانية الاخيرة التى شنت العهد الحالى الذى يطلق عليه هنا "المرحلة الديموقراطية" قيادة السيده بوتو ثم تغطية المرحلة القائمة حاليا فى الحرب الافغانية, والتى بدأت بإتمام الانسحاب السوفيتى ثم تشكيل الحكومة المؤقته للمجاهدين... وهى الذروة

الشاهقة للإنتصار الافغانى والتى بالغ الاعلام الامريكى بالذات فى كونها النصر النهائ أو الخطوة ما قبل النهائية للنصر الحاسم.
ولم تلبث أن نشبت معركة جلال آباد الشهيرة, وقاد الاعلام الامريكى -- والغربى من ورائه حملة هائله حول هذه المعركة, وكأنها الحسم العسكرى النهائ الى سيطيح بنظام كابل الشيوعى لصالح الحكومة المؤقته للمجاهدين.
وقد لاحظ مارشال الجو المتقاعد"عياض احمد خان" فى تحليل عسكرى لمعارك جلال آباد أن التغطية الاعلامية الغربية لتلك المعارك لم تكن فقط مبالغا فيها, بل كانت هستيرية, وقال بأنه من الواضح منذ اللحظة الاولى لهذه المعارك وبالموازين العسكرية القائمة وقتها انها لن تسفر عن سقوط المدينه أو أنهيار نظام كابل, وأن الجاهدين يلزمهم وقت طويل حتى يحققوا مثل هذا النصر.
ولكن ما لبث لتهويل الدعائ أن اتخذ اتجاها معاكسا تماما فانقلب مهاجما ما أسماه بفشل المجاهدين فى جلال آباد ملقيا اللوم على المخابرات العسكرية الباكستانية أولا لتدخلها فى الحرب الافغانية من جهه, ومتهما أياها من جهه أخرى باصدار الأوامر بشن معركة جلال آباد وذلك فى إجتماع حضره السفير الامريكى فى باكستان "مستر آوكلى" كما ذكرت ذلك الواشنطن بوست الامريكية.

؛حسابات داخلية»

وعلى الصعيد الداخلى كان الكثيرين من اقطاب السياسة فى انتظار لتلك الفرصه لتصفية حسابات قديمه, وتصدر الجميع السيد عبد الولى خان رئيس الحرب الوطنى, والمعروف بصداقته التاريخية للمحور الهندى السوفيتى, والذى ينادى بوقف الحرب الافغانية بسرعة بشرعية الحكم القائم هناك, متهما الولايات المتحدة ونظام الرئيس الراحل ضياء الحق بإشعال هذه الحرب.
كان طبيعيا أن يتلقفوا الي خان هذا الاتهام للمخابرات العسكرية الباكستانية, التى يعتقد انها مازالت تحمل بصمات عهد ضياء الحق بل أن هذا الاعتقاد يشمل المؤسسة العسكرية كلها -- وبشكل عام فالقوى السياسية التى عارضت حكم ضياء الحق تحمل ذكريات مديرة الجهاز المخابرات العسكرية وتتهمه بأنه تدخل فى السياسة الداخلية للبلاد أيام ضياء الحق متجاوزا بذلك الهدف الاصلى من إنشائه, كما ان تدخل الجيش فى الحياة السياسية يمثل كابوسا مزعجا يؤرق خواطر السياسين الحزبيين. وتنادى السيده بوتو مرارا بضرورة خضوع الجيش لتوجيهات السياسيين والادارة المدنية الحاكمة.

ولا يغيب عن بال الاحزاب السياسية ان الجيش يرمق بطرف خفى يحدث على الساحة الداخلية, وفى حالة حدوث ما يهدد وحده البلاد وأمنها الداخلى بشكل خطير فلا يستبعد أن يعاود الجيش ممارسة دور في العمل السياسى الداخلى.
ولا شك أن القوى السياسية الفاعلة تحاول ضبط العمل الداخلى بحيث تتجنب البلاد مثل هذا الوضع الشائك, كما تحاول تلك القوى والتى وصلت الى الحكم بعد صراع "متنوع الوسال", أن تقنن وضع الجيش ودوره فى العمل الداخلى بحيث يبقى دائما داخل ثكناته لا يتحرك منها لعمل داخلى أو خارجى الا بتوجيهات القيادة السياسية.

؛عملية تقليم»
اقضاء السيد حميد جول عن قيادة المخابرات العسكرية كان خطوة هامة نحو تقليم الزوائد غير الموغوب فيها لنشاطات المؤسسة العسكرية وأيضا لوضع هذه المؤسسه تحت سيطرة القيادة السياسية الحاكمة.
وقد عينت السيده بوتو لقيادة هذا الجهاز الحساس الجنرال المتقاعد "شمس الدين كاللو" بدلا من "حميد جول" واصبح السيد "كاللو"مسئولا مباشرة أمام السيده بوتو وليس أمام رئيس الاركان وقائد الجيش وذلك لأول مرة فى تاريخ هذا الجهاز, ومنذ وقت مبكر بعد وصولها الى الحكم بقليل, أمرت"بوتو" بتشكيل لجنه لتحقيق فى نشاطات اجهزة المخابرات خاصة حول دور المخابرات العسكرية فى قضية أفغانستان.
وقد اشارت الصحف الباكستانية الى بعض النتائج التى توصلت اليها لجنه التحقيق فقالت بأن اللجنه أشادت بدور جهاز المخابرات العسكرية تحت قيادة "حميد جول" فيما يتعلق بمكافحة التجسس والتصدى لمحاولات الهند للتدخل فى أحداث ولاية السند الباكستانية.
وأشارت الى مساعداته للمجاهدين الافغان, ولكن التقرير انتقد تدخل هذا الجهاز فى قضايا السياسة الداخلية وانه انحاز الى جبهة "الاتحاد الجمهورى الاسلامى"
-وهى الجبهة المعارضة للسيده بوتو -- وأنه قدم لهذه الجبهة مساعد ان أثناء الحملة الانتخابية الاخيرة.
ومن هذا المنطلق تنبأ الصحفى السيد "مشاهد حسين" بأن هذا التعديل الاخير فى رئاسه جهاز المخابرات العسكرية قد قطع ارتباطا هاما بين جبهة المعارضة "الاتحاد الجمهورى الاسلامى" وبين الجيش, وقد اصبحت الفرصة مهيأة الآن أمام السيده بوتو أن تتصدى بكفاءة اكبر لقائد هذا الاتجاه المعارض السيد نواز شريف رئيس وزراء البنجاب الذى كانت مواقفه من الحكومة المركزية بقيادة السيده "بوتو" سببا فى توتر كبير بين الجانبين بما فيها البنجاب غير متجاوب مع حكومة بوتو.
والتى بدورها وجهت اتهامات سابقة بأن الجيش نفسه يحمل بصمات اقليم البنجاب واعربت عن املها بأن يتغير ذلك الوضع, وبهذا الاجراء الاخير بدأ الوضع يتغير فعلا.

-سياسة جديدة-
ويلاحظ أن أقصاء "حميد جول" فى الرابع والعشرين من شهر مايو الماضى قد تم أثناء زيارة رئيسة الوزراء لتركيا وبطريقه هادئة ؛ وأنه جاء قبل أيام من زيارة رئيسة الوزراء للولايات المتحدة الامريكية.
والجدير بالذكر أن السيده بوتو فى حديث لها مع الواشنطن بوست (فى 21 مايو) نشرته الصحف هنا فى نفس اليوم الى عزل فيه "حميد جول" بأنها تسعى للقيام بدور رئيسى فى تناول المشكلة الافغانية, وأنها تنوى تغيير السياسة السابقة التى ورثتها عن العهد السابق لضياء الحق والتى كانت تتبنى الحل العسكرى للقضية, وذلك فى رأيها كان خطئا جوهريا ادى الى زيادة التوتر والتهديد لحدود بلادها الشمالية الغربية, وأن الولايات المتحدة فى عهد ريجان كانت تساعد المجاهدين الافغان بالسلاح عبر جهاز المخابرات العسكرية فى باكستان, وان ادارة "بوش" في اجتماعاتها الاولى قررت الاستمرار في تلك السياسة.
وقالت أنها ستناقش سياستها الجديدة تجاه افغانستان مع الادارة الامريكية فى واشنطن.
وفى وسط التغطية المثيرة للدهشه من جانب الاعلام الامريكى لتلك القضية بشكل خاص انفردت "نيويورك تايمز" الامريكية بتفجير قنبله صحفيه اخرى فى الثالث والعشرين من ابريل الماضى حيث نشرت قصة مؤداها ان الهجوم على جلال آباد قد تم بأوامر من حكومة السيده بوتو وبعكس ما نصحت به المخابرات العسكرية ورئيسها "حميد جول."
وليس مؤكدا إن كان هذا المجهود الاعلامى المتفوق بكشف حقائق أم يؤجج صراعات قائمة.

؛ضغوط بالحملة»
لا شك أن تلك التعديلات الاخيرة فى جهاز المخابرات العسكرية واستبعاد الجيش من تناول القضية الافغانية يعتبر تغييرا كبيرا ليس على مستوى السياسى الداخلية فى باكستان, بل على مصير القضية الافغانية وأوضاع المنظمات السبع فى بشاور وحكومتهم المؤقته.
فمع استبعاد حميد جول فقدت تلك المنظمات آخر الانصار الاقوياء فى الادارة الباكستانية, وبدأ الاعلام الامريكى يوجه الاتهامات لاصدقائه القدامى "لحميد جول" و"ضياء الحق" بأنهما ساعدا كثيرا الجناح "المتشدد" فى المقاومة الافغانية وخططا لوصوله الى السلطة فى كابل, وقد بدأت فعلا بوادر استبعاد الحل العسكرى, وفى مقابلات خاصة اعرب قادة افغان ميدانيين عن شكواهم من أن هناك ضغوطا قد مورست عليهم لمنع اقتحام المدن الضعيفه بل وتخفيف الضغط على المدن القوية وأنهم حول جلال آباد وخوست وغيرهما اصبحوا يواجهون عجزا في الذخائر الهامة لقطع المدفعية والهاونات وأن "طلبات " وصلتهم بشأن تخفيف حده العمليات.!!
وبينما يوضخ عدد من القادة الميدانيين لتلك المطالب تصبح القوة المتوفرة لدى الآخرين غير كافية للسير فى الاتجاه المعاكس أى طريق الحل العسكرى.
وبالطبع فأن محور موسكو -- كابل -- نيودلهى, يزيد ضغوطه السياسية والنفسية ثم العسكرية لكبح اتجاه المجاهدين فى الداخل عن السير نحو الحل العسكرى, وتوجهت هذه الضغوط نحو باكستان فى نفس الوقت.
ويعتبر أقصاء "حميد جول" رمز الصقور فى المؤسسة العسكرية الباكستانية إنتصارا لتلك المجهودات ولو بشكل غير مباشر, ولو أن دوائر المعارضة للسيده بوتو تنشر فى الصحف أتهامات للحكومة بأن اقصاء "حميد جول" كان استجابه لضغوط (هندى/ سوفيتية.(
ويعزز القول بحدوث ضغوطا عسكرية ونفسيه علي الادارة الباكستانيةة حادثه الصاروخ الذى سقط فى باكستان جنوب البنجاب يوم الاثنين الثانى والعشرين من مايو الماضى.
قرب منطقة مرشحة لمشروعات نووية باكستانية ولم يستعد قائد الجيش الاكستانى أن يكون قرب منطقه مرشحة لمشروعات نووية باكستانية ولم يستبعد قائد الجيش الباكستانى ان يكون الصاروخ من نوع بعيد المدى حصل عليه نظام كابل من موسكو أو يكون هو الصاروخ الهندى من طراز "آجنى" متوسط المدى الى كانت الهند تجرى تجربه اطلاق ناجحة عليه فى نفس وقت الحادث, أى انه بدلا من توجيه الصاروخ الى خليج النجال كما أذيع وجهته الهند الى عمق اقليم البنجاب الباكستانية وقرب منطقة مشروعات نووية.!!
وقد سارعت الهند الى تكذيب تلك الاتهامات, وإذا كان التكذيب الهندى صحيحا , فإن البديل الآخر هو أن كابل بدأت تضرب فى العمق بشكل تحذيرى بالخطر الداهم ومساعدة غير عادية من موسكو.

-مفاوضات سرية --
وحتى قبل عزل النصير القوى الافغانى "حميد جول" فقد ابدى بعض قادة المقاومة الافغانية -- المحسوبين على التيار فيها -- تفهما لفكرة إقتسام السلطة مع النظام الحاكم واستبعاد الحل العسكرى.
وافادت مصادر مقربه من المقاومة الافغانية أن مباحثات سرية بين أحد هؤلاء القادة ومسئولين سوفيت قد جرت فى عاصمة عربية بوساطة من شخصيات فلسطينية رفيعة المستوى, وقد لمحت السيدة بوتو فى حديثها الذى اشرنا اليه مع (واشنطن بوست) حول هذه المباحثات بقولها "إن المجاهدين والاتحاد السوفيتى سوف يستئنفان قريبا مباحثات حول أسرى الحرب السوفييت لدى المجاهدين واعربت عن املها أن تتناول تلك المباحثات موضوعات سياسية أخرى."
فى ذلك الوقت الذى نشر فيه "بوتو" كانت المفاوضات التى نوهت عنها قد انتهت فعلا بدون أحراز نتيجه حماسية. فمازالت المواقف ازاء اقتسام السلطة متباعدة, فموسكو تصر على اشراك حزب الشعب الديمقواطى الحاكم فى كابل فى الوزارة القادمة بمناصب عامة بينما أصر المجاهدين على اشراك هؤلاء فى مناصب دون مستوى الوزارة مع استبعاد الاسماء المشهورة من الشيوعيين الافغان.
وقد جرت مفاوضات مماثله بين الطرفين فى عواصم أوروبية من بينهما سويسرا ولم تكن هى الاخرى نهائية.

أما الجناح المعتدل من منظمات المقاومة الافغانية فمازال يبحث جاهدا عن مكان ملائم فى السلطة والحل السياسى القادم للملك السابق ظاهر شاه.

"جزاء الصديق"
ومع أهمية "حميد جول" بالنسبة للمنظمات الافغانية إلا أن تلك المنظمات لم تكن قادرة بأى حال مد يد العون للرجل فى محنته الاخيرة.
بل العكس فإن التصريحات النارية لكبار قادة المنظمات اثناء معارك جلال آباد قد أضاف وقودا دفعا للحملة الهستيرية التى قادها الاعلام الامريكى والذى تحولت وبفس الاندفاع الى غول ينهش فى "حميد جول" وجهاز الاستخبارات على الفشل الذريع الذى زعموا أنه لحق به فى "جلال آباد" كما أن تصريحات وزير الدفاع فى حكومة المجاهدين المؤقته والتى نشرت فى 11/5/89 بأن القيادات الميدانية للمجاهدين قد شنت هجوم جلال آباد بدون استشارة الحكومة المؤقته تلك التصريحات اكدت روايات الصحف الامريكية بأن "جهه ما" غير قيادات المنظمات قد خططت لتلك المعركة الورطة.
وتأكدت بذلك الاتهامات التى احاطت "جول" وجهازه وتحققت نبؤة الدكتور الباكستانى (شاه خان) فى جريده المسلم الباكستانية فى السادس عشر من مايو بأن معركة جلال آباد تبحث الآن عن كبش فداء.

-سو ر اعلام-
الاعلام الدولى لابد أن يشعر بالغيرة والحسد من هذا الاعلام الامريكى المتفوق الذى يخترق حجب الغيب ويتنبأ بالاحداث بل يكاد -- كما يتوهم البعض -- أن يشارك فى صنع الحدث واستحق أن يكون سوبر إعلام لسوبر دولة.
ويظن هؤلاء أن الاعلام الامريكى -- بحق أو بدون حق -- قد اسهم فى تقديم "حميد جول" وجهاز الاستخبارات العسكرية الباكستانية كضحية لما أسموه "الفشل العسكرى" للمجاهدين فى جلال آباد -- وما دام من يحظى بإعجاب الاعلام الامريكى فهو حتما سيلاقى السعادة ويرتفع نجمه ومن يغضب عليه ذلك الإعلام فقد حانت ساعته وسوف يهلك لامحاله.
فعلينا أن نتوقع مزيدا من الضحايا تحت شعار "الفشل فى جلال آباد" فأثناء حملتها الهيستيرية فى التأييد ثم فى صب اللعنات, كانت الصحف الامريكية تضم الى جانب جهاز المخابرات العسكرية الباكستانية هؤلاء المتطوعين من شباب الدول الاسلامية -- خاصة المتطوعين العرب.
وقد وجهت إليهم لائحة أتهامات يستوجب أقلها شأنا الاعدام مرات متوالية لكل شخص منهم.
فقد وجه الاعلام الامريكى نقدا مديرا الى هؤلاء وتعصبهم "للحرب الدينه."
ونسى هذا الاعلام أن إضفاء الطابع الدينى على تلك الحرب قد حظى بمباركة الاعلام الامريكى, طوال الوقت... فماذا حدث عندما اقتربت النهاية وحان وقت مناقشة قضية استلام السلطة فى أفغانستان.؟
فغدت كلمة اسلام خطرا على الدولة الافغانية القادمة وجرما مهولا , فهذه "تايم"الامريكية فى عددها فى الصادر فى السابع عشر من ابريل الماضى وبعد تقرير حاد اللهجة ضد المتطوعين العرب الذين وصفتهم "بالوهابية" و"السلفية" التى تصدم بمعتقدات الافغان تقول فى نهاية التقرير على لسان مثقف أفغانى معتدل لم تذكر أسمه "هؤلاء الناس -- يقصد المتطوعين العرب -- يفضلون أن يطلقوا على افغانستان إسم "إسلامستان" انهم يشكلون خطورة حقيقية بتحطيم آمال الشعب الافغانى."
الرسالة واضحة فالتايم تقول أن الاسلام فى افغانستان تهديد لآمال شعبها !!. فلماذا كان التهليل الاعلامى طوال تسع سنوات لرجال "المقاومة الاسلامية " فى أفغانستان.
بل أن الادارة الامريكية والاعلام الامريكى اعترفا المصطلح الاسلامى "المجاهدين."
وهو مصطلح مرتبط ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الاسلامية.!!
هيئة الاذاعة البريطانية سارت فى نفس المنوال مستغله نفوذها وسعة انتشارها فى اوساط الشعب الافغانى, واذاعت فى برامجها بالغة الفارسية والباشتو حملات عنيفة على العرب "الوهابية", وكيف أن الصراع القادم فى أفغانستان هو بين سكان البلاد وهؤلاء الذين قدموا يحملون اليها خطرا الوهابية.!!

اذن خطر الشيوعية قد ذهب والخطر الآن اسلامى "وهابى" وسرد الاعلام الغربى حوادث صدام قال أنها حدثت فى افغانستان بين اهل البلاد ومعتنقى الوهابية من أفغان وعرب.

؛وفاق اعلامى دولى»
والعجيب أن راديو كابول والاذاعات الافغانية الفرعية مثل جلال آباد/ خوست وغيرها ثم اذاعات راديو موسكو باللهجات الافغانية كلها تركز على الهجوم على العرب وخطورتهم على مستقبل أفغانستان.
ولم يكن هناك منظرا فريدا مؤشرا في النفس مثل هذا التضامن الاعلامى الدولى ضد هذا العدو المشترك للبشرية شرقا وغربا شيوعية ورأسمالية, وياله من عدو جبار, شرزمه قليلة من الشباب العرب اعمار اكثرهم دون العشرين!!
ولم يقتصر الاعلام الامريكى فى المقدمة -- واعلام الغرب كفقه مسانده -- على ذلك بل تعدى الى رسم صورة مرعبة حقا تهدد السلام الدولى.
فهؤلاء الشباب العرب -- كما يدعون -- يتدربون فى أفغانستان على الارهاب وخطف الطائرات !! وجاء الادعاء مدهشا حقا لان المعروف تماما أن الشعب الافغانى اكثر شعوب الارض معاناة من قصف الطائرات التى دمرت قراه تماما وقضت على الآلاف من ابنائه, ومع ذلك لم يسمع, أحد فى العالم -- حتى من خلال الاعلام الامريكى نفسه -- أن الافغان قد خطفوا طائرة واحدة. عسكرية أو مدنية.
بل أن اكثر من 90% من المجاهدي الافغان لم يركب فى حياته طائرة -- وأكثر من 80% منهم لم ير طائرة قابعة على الارض.
وإن كانوا جميعا شاهدوا الطائرات الروسية وهى تبيد القري ومن فيها.
فأين الارهاب وخطف الطائرات, التى يمكن أن يتدرب عليها هؤلاء أو غيرهم فى أفغانستان?
وربما دل ذلك الاتجاه على أن التقييم الامريكى الجديد لقتال الشعب الافغانى ضد الشيوعية المحلية هو نوع من الارهاب بعد ما كان "جهادا " وقتالا "مجيدا لاجل الحرية عندما كان موجها ضد الجيش الاحمر. وحتى لانظلم الاعلام الامريكى, وهو بلا شك يمتلك الريادة والقدوة -- كسوبر اعلام دولى ذو قدرة فى الاستقراء مدهشه فى تحديد أبعاد ما سوف يكون من أحداث جسام فإننا نقول ليس العرب وحدهم محل هذا الهجوم الى فقد المنطق والبرود الغربى التقليدى وتميز بالانفعال الذى أثر على الاتزان والمعقولية.
فها الاعلام يركز فى تغطية لما يحدث فى أفغانستان على الصراعات القادمة "والحتمية!!" بين الفئات الافغانية المختلفه المذاهب والقبائل والمجموعات متنوعة الاعراق واللهجات.
حتى أن مندوب هيئة الأذاعة البريطانية قطع رحله مضنية الى شمال أفغانستان لمقابله أحمد شاه مسعود لكى يسأل سؤالا غريبا يقول " بصفتكم من الناطقين بالفارسية ما هو موقفكم من القادة البشتون الآخرين".?
السؤال غريب جدا ولا يخفى مغزاه على أحد وقد رد مسعود عليه ردا شافيا لم يكن يتمنى المراسل النشيط سماعه, فقد إكتشفه أن القضية فى ذهن القائد الافغانى الشاب مختلفه تماما فهو يرى أن الاسلام قد ذهب بهذه الفوارق وأن الجميع مسلمون, لا فرق بينهم, لكنهم لم ييأسوا -- ومازال الاعلام السو ر دولى يعزف على أوتار متوافقه.
فالاعلام الامريكى يستبعد اللحن وهيئة الاذاعة البريطانية تعيد التوزيع ... والنغم السوفيتى الوصين يعطى الاصداء العميقه.
فيا ايها الفشل "المصنوع" فى جلال آباد, كم من الرؤوس ستطير لأجلك.??

نوفمبر 89 -- بشاور تهتز:
إختطاف ... وإغتيال

كانت عملية ابعاد مهذبة, تلك التى قامت بها الحكومة السودانية "لابى عبد الله" وعدد محدود من حرسه الخاص, على متن طائرة حكومية صغيرة حطت بنا فى جلال آباد, وكنت قد حضرت عملية الإبعاد بدون ترتيب مسبق أثناء زيارة للخرطوم استمرت أربعة أشهر فقط لاغير.
حطت بنا الطائرة فى مطار جلال آباد, ومنه الى منزل "فضل الحق مجاهد" أحد قادات حكمتيار فى المنطقة, ولأول مرة أدى مثل ذلك الطراز من القادة الشباب ذوى التاريخ الجهادى والشهامة مع التواضع والكرم الزائد.
وبناء على طلب أبى عبد الله انتقلنا الي قصر ملكى قديم محيط باشجار الفاكهة التى لم تثمر بعد. وفى انتظار وصول عائلاتنا من السودان واليمن, جلست مع أبى عبد الله نكتب شذرات من ذكرياته فى أفغانستان, وبدأنا من جلال آباد, حيث أننا متواجدون فعلا فى المدينة, ومواقع الاحداث الهائلة تقع على قرب منا.
خاصة جبل سمرخيل الذى نشاهده من شرفه القصر الملكى, والطرف الجنوبى من المدينه, والى الشرق جبال بهسود الممتده من كونار حتى حواف وادى جلال آباد.
وبعد أن روى أبو عبد الله قصته فى معارك جلال آباد خاصة ملحمتها الكبرى, والتى أسميتها معركة القطاع الغربى, وأسماها هو معارك "ذو الحجة", بدأ أبى عبد الله يروى ذكرياته حول أخطر الاحداث التى استهدفت اقتلاع التواجد العربى من أفغانستا, بل وتصفيه ذلك التواجد إبتداء من تصفيه رمزه الأشهر -- الدكتور عبد الله عزام.
يقول أبو عبد الله:
أثناء تواجدى فى السعودية وقع حادثان مهمان على ساحة المجاهدين العرب فى باكستان.
الأول حدث مساء الخميس (23/11/1989) حيث أدعت فيه السلطات الباكستانية أنهم اكتشفوا وجود متفجرات فى حقيبه مع راكب سعودى كانت معه لتفجير الطائرة التى تحمل مدنيين ومن بينهم الشيخ الزندانى -- عد المجيد -- وتم القبض على شاب مصرى (محتسب) وحملوه مسؤلية الحادث.
وفى ظهر يوم الجمعة التالى تم إغتيال الدكتور عبد الله عزام حيث فجر مجهولون شحنه متفجرات تحت سيارته وهو متجه الى صلاة الجمعة فى مسجد "سبع الليل" فى بشاور, وقتل معه إبناه محمد وأبراهيم.

ومنذ أشهر كانت هناك حملة فى الاعلام الدولى ضد التواجد العربى فى أفغانستان متهمين إياه بالتهم التقليدية من إرهاب وأصولية كما أثاروا نغمة الوهابية لتحريك العداء بين العرب والافغان.

(فى عملية الطائرة كانت هناك قائمة(1) من 23 إسم من قياديى القاعدة لتحميلهم مسئولية الحادث والقاء القبض عليهم وتحطيم القاعدة نفسها.
ومن المعلومات المؤكدة من داخل المملكة أن الذى رتب تلفيق هذه القضية هو عبد الله المنبع -- مدير الهلال الاحمر السعودى فى بشاور--
كان محتسب عضوا فى القاعدة, وهو مهندس كيميا, حصل على دورة متفجرات متقدمة جدا فى "القاعدة" ثم ترك التنظيم قبل حادث خطف الطائرة بحوالى شهر أو أكثر.
كان سلفى المعتقد ومجاهد -- ثم انتقل الى مضافه جميل الرحمن فى بشاور حيث المسئول عن المضافه وهو/ ابو عمران/ وهو أحد السعودين العاملين مع عبد الله المنيع.
أبو عمران عرض على محتسب القيام بتدريب العرب في معسكر كونار التابع لجميل الرحمن.
والهدف من المعسكر محاولة إحتواء ورصد السعوديين القادمين إلى الجهاد فى أفغانستان.
وافق محتسب على العرض بدون أن يدرك صلة ذلك بالمخابرات السعودية,كان محتسب يكفر الحكومة السعودية والملك فهد تكفيرا عينيا ودخل فى النقاشات مع بعض الافراد في المضافه ومسئولية المضافة أبو عمران حول نفس الموضوع.
وقد نصحه البعض بتجنب تلك المضافة والعاملين فيها لصلتهم بالسعودية.
وكانت المضافة تجتذب الشباب بخدمات مختلفه وارسالهم إلى المملكة للحج أو العمرة.

-إتصل بى أبو عبد الله فى بشاور بعد الحادث (محاولة خطف الطائرة) مباشرة وأبلغنى بإبعاد محتسب عن ساحة بشاور وإرساله الى أفغانستان, وقال سأرسل لك بالتفصيل غدا , وفعلا جاءت التفاصيل عن طريق شخص وهى أن الشخص الذى كان يحمل حقيبة المتفجرات قد ذهب الى ابى عبد الله وأبلغه أن الذى أعطاه الحقيبه شخص بمواصفات محتسب.
فبدأنا بالبحث عن محتسب فى كل بشاور ولكن دون جدوى ثم ظهر فى اليوم التالى فى بشاور عند أحد الشباب المرضى - عادل صيام (ابو النضر) الذى استشهد فى مصر على أيدى المخابرات -- وكان ابو النضر مريضا ومحتسب فى زيارته. فذهبت مباشرة الى هناك بحجه زيارة ابو النضر والتقيت مع محتسب حوالى ساعة أو أكثر فلم يظهر على محتسب أى نوع من الأرتباك أو القلق وكأنه لا يصلح أصلا بالموضوع.
وسألت محتسب عن برنامجه فى المرحلة التالية فقال بأنه يريد أن يسافر الي مصر ويريد أن يراجع بعض التدريبات قبل سفره, فوجدت أن هذه فرصه لابعاده عن الساحة بدون إشعاره بشئ واتفقت معه على أن يتجهز فى اليوم التالى مبكرا , للتحرك الى خوست.
فى اليوم التالى انتظرت محتسب طويلا واتضح بعد ذلك أن المخابرات السعودية فى بشاور قد ألقت القبض عليه.
بعد إختفاء محتسب بعدة ايام ظهرت صورته عل صفحات الجرائد الباكستانية, على انه المتهم بمحاولة تفجير الطائرة السعودية وذكروا بأن السلطات الباكستانية قد ألقت القبض عليه فى محطة باصات روالبندى قاما من بشاور. وكان ذلك كله كذب وتلفيق.
وقال محتسب عندما التقى بأحد إخوانه فى أثناء فترة محاكمته فى روالبندى:
لقد دعيت الى وليمه فى ثانى يوم للحادث فى بيت أبى عمران مسئول ضيافه جميل الرحمن, بحجة التباحث معه فى موضوع التدريب فى معسكر "كونار."
وبعد الطعام أستدعاه أبو عمران ألى أحد الغرف الجانبية وهناك وجد مجموعة من الافغان العاملين مع أبى عمران ومع سيده المنيع الذى كان موجودا فى الحفل فكبلوه واوثقوه وضربوه ضربا مبرحا.
ثم نقل محتسب داخل سيارة إسعاف الى بيت آخر تابع للمخابرات السعودي فى بشاور, ومعه عبد الله المنيع وأبو عمران والجلاوزه الافغان, وبدأ التحقيق معه مرة أخرى واستخدموا معه كل اساليب التعذيب البدنى والمعنوى.
محاولين إجباره على الاعتراف بأنه وراء عملية الطائرة وأن جماعة القاعدة مشتركة معه فى المؤامرة.

وعرضوا عليه قائمة بها 23 إسما بكودار القاعدة على أنهم شاروكوا معه فى العملية.
كما أعدوا له رسائل على أنها متبادلة بينه وبين مسئولين فى القاعدة هما أبو حفص وأبو عبيده, والرسائل تثبت تورط الجميع فى مؤامرة الطائرة.
وفعلا وبدأت المخابرات الباكستانية فى التحرى والبحث عن ابو حفص وأبو عبيده فى محاولة لا عتقالهما.
لكن أبو حفص علم بالامر فاختفى واسرته خارج بشاور أن أبو عبيده فلم يكون متواجدا فى باكستان.
قال المحتسب لصديقه الزائر:
أنه لم يعترف على جماعة القاعدة, وقال أنه يمكن يعترف على نفسه ولكن ليس على الآخرين.
ثم تم نقله الى المخابرات الباكستانية - وبدأوا فى التحقيق معه, واستخدموا معه بعض أساليب التعذيب.
ولكن بشكل أقل حدة مما فعلته المخابرات السعودية? لدرجة أن محتسب قال: إن تعذيب الباكستانيين له انقذه من تعذيب السعوديين.
قال محتسب لزائره العربى أثناء المحاكمة أنه كان يريد أن يرسل حقيبه الى "جده" الى أحد أخوانه ويدعى أبو همام -- (قتل فى مصر على أيدى المخابرات المصرية فى إشتباك) -- والحقيبه مخبأ بها بعض الاختام.
وسأل محتسب أبو عمران عن أمكان إرسال الحقيبه الى جده -- فقال له نعم يوجد أحد الاخوة الطيبين, ثم أستلهم منه الحقيبه, ولم يكن بها أى مواد متفجرة.
فتجهيزها بالمتفجرات تم على أيدى المخارات السعودية فى بشاور, حيث وضعوا إصبع ديناميت مع بعض الاسلاك دون توصيل اى دائرة كهربائية.
ثم أعطيت الجقيبه لأحد الافراد التابعين لهم والمسافر على الطائرة الى جده.
يقول احد الافراد المسافرين (س-يف...) وكان مسافرا من إسلام آباد الى جده على نفس الطائرة وكان خلف حامل الحقيبه أثناء تفتيش الأمتعة قبل الدخول الي الترانزيت, وقال أن التهاون فى التفتيش فى ذلك الوقت كان غير طبيعى, حتى أن تلك الحقيبه التى يحملها المسافر فى يده فتحها ضابط الجمارك بعد مرورها على جهاذ الاشعة, ثم فتحها بسرعة قائلا : ماذا بداخلها... ثم نظر بسرعة وأغلقها قائلا : آه... بها صابون!! ثم سلمها له.
أقلعت الطائرة من مطار إسلام آباد... وبينما هى على وشك الاقلاع كان محتسب قد وصل الى مطار إسلام آباد وهو متعجل, وقد أرسله "أبو عمرا" برساله مغلقه -- وكانت مكتوبه بالآله الكاتبه -- لكى يسلمها الى الشخص حامل الحقيبه, وقد طلب منه ابو عمران أن يسلم لشرطة المطار كى يعطوها إلى حامل الحقيبه في صاله الترانزيت أو الطائرة.
وفعلا استقل محتسب أحد التاكسيات بسرعة وسلم الرسالة لأحد رجال الشرطة أمام صالة المغادرين, ثم عاد أدراجه وهو لا يعلم محتوى الرسالة.
كانت الرسالة مكتوبه على الآلة الكاتبه وتحتوى تهديدا بتفجير الطائرة إذا لم يسلموا الخطط العملية مبلغ عشرة ملايين دولار.!!
استلمت السلطات الباكستانية الرسالة وطلت انزال الطائرة فى كراتشى, وأعلنوا عن محاولة التفجير, وطلبوا نزول الركاب فى الطائرة, وتجمعوا عندها, ثم إنزلوا الحقائب, وطلبو من كل راكب أن يتعرف على جقيبته ثم يجملها معه ويتوجه الى مبنى المطار للتحقيق.
حامل الحقيبه مال هامسا على أذن "سيف "...
؛إننى أشك فى أن الحقيبه التى اعطانيها محتسب هى التى تحتوى على المتفجرات.»
فى مبنى المطار جرى تحقيق سريع مع كل راكب عن أسمه والجهه القادم مها والجهه المسافر إليها وكانت مسأله شكلية تماما.
الشرطة الباكستانية احتجزت سته إيرانيين من بين الركاب, واعلنت الصحف الباكستانية عن المحاولة كانت إيرانية, ورددت الصحف السعودية نفس الادعاء.
ولكن عد عدة أيام أعلنت صحف اكستانية أن السلطات الاكستانية قد ألقت القبض على إرهابى عربى فى محطة الباصات فى روالبندى قادما من بشاور باعتباره المسئول عن محاولة تفجير الطائرة السعودية.
تم تقديم محتسب الى المحاكمة, وكانت الادلة هى:
أ- الاعتراف الى وقعه محتسب تحت ضغط تعذيب المخابرات السعودية فى بشاور.

ب - رسالة التهديد بتفجير الطائرة, مع الآلة الكاتبه التى قدمها الباكستانيون على أنها الآلة المستخدمة فى الكتابه
- وقد أثبت الدفاع عكس ذلك أثناء المحاكمة.
وقد أبدت السفارة المصرية فى أسلام آباد إهتماما كبيرا بالقضية وحضر مندوبها جميع الجلسات, وأعطوا محتسب وعودا كثيرة بأنهم سوف يساعدوه, ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.
وهناك دلائل تشير أن الذى حدث هو العكس, وأنهم قد تواطنوا على الاقل فى تهدئة محتسب حتى يتم الحكم عليه فى القضية.
أما محامى محتسب فقد طمأنه قبل يوم واحد من إصدار الحكم بأنه قدفند كل دعاوى الباكستانيين, وأن كل الادلة ثبت تزييفها, وأنه لايشك فى إصدار حكم البراءة.
وجاء المحاكمة, وكانت الصدمة الكبرى بأن حكمت على محتسب بالسجن 25 عاما.

ويواصل أبو عبد الله حديثه عن حادث اغتيال الدكتور عبد الله عزام فيقول:
-كان هناك شعور لدى الأخوة المحيطين بالدكتور عبد الله وغيرهم أنه مستهدف وبالتالى نصحناه أن يتجنب النزول الى بشاور وأن يمكث فى معسكر صدى مع حراسته, للقيام بدورة بعيدا عن الاشكالات الامنية.
لكنه رحمه الله كان كل شهر ينزل بضعة أيام فى بشاور فى إحدى الزيارات قبل إغتياله اكتشفت قبل الخطبه كمية متفجرات تحت المنبر, فزاد حذر الاخوة وتحذيرهم للشيخ عبد الله.
كانت إنذارا واضحا وتأكيد لما ذكرناه له قبلا.
فى تلك الفترة كان الشيخ مثقلا بكثير جدا جدا من الهجوم التى كانت فى الساحة إبتداءا من الخلافة الشديده فى الساحة الافغانية ثم الخلافات داخل صفوف العرب فى بشاور.
كما عانى من هجمات بعض المحسوبين على الحركة الاسلامية فى الاردن ومصر, وبعض المسؤولين من الدولة السعودية.
كان مثقلا بالهجموم بشكل غير عادى فى الفترة الاخيرة.
-لم يجد الشيخ عبد الله اى سند من العلماء وطلا العلم لمساعدته في أعضم قضيه شغلت العالم فى ذلك القرن, حينما تطاحن قطبى العالم فى الشرق والغرب, ثم بخلت الحركة الاسلامية برجل يساعد الشيخ فى رسالته الكبيرة.
لقد قصرت الحركة الاسلامية فى تلك القضية, بغض النظر عن أسباب ذلك التقصير.
-كان الشيخ واسع الصدر وبعيد النظر في معرفه أهمية تلك القضية بالنسبه للمسلمين والعالم, وفائده الجهاد لاستنهاض الامه ورفع الذل والظلم من فوق كاهلها,ولتحكيم شرع الله فيها.
لقد كان داعية وشجاعا , وبذل وصبر وضحى كما لم يفعل أى شخص آخر... فكان حقا رمزا إسلاميا لا يضاهى عندما قتل الشيخ, تبادر ذهنى وكذلك كثير من محبى الجهاد أننى سوف اكون التالى له, ,وقد حزرنى كثير من الاخوة بذلك, وفى نفس ليله الخبر لم أنم فى بيتى وأخذت احتياطات أمنيه وكنت وقتها ممنوعا من السفر.
وجاءنى خبر أن خمسة شيوعيين من اليمن الجنوبى دخلوا المملكة بغرض إغتيالى.وإستمر ذلك الحال المتوتر أمنيا حتى خرجت من المملكة, وكنت لا أمشى إلا بالسلاح.
كان الحزن كبيرا وعاما فى المملكة خاصة فى الوسط الاسلامى ومحبى الجهاد الافغانى والذين شاركوا فيه.
كان تفكيرنا وقتها يدور على أن المستفيد الاول من الجريمة هم اليهود وأمريكا وأعوناهم.
كان خطر د. عبد الله على اليهود وأمريكا وأعوانهم بنشر فكر الجهاد من أجل استرداد فلسطين والقدس, وهكذا اشارت كتاباته التى أثرت كثيرا على حركة حماس ونشوئها.
ولا تجهل أن أمن إسرائيل وأمن أمريكا هما شيء واحد, ناهيك عن دعوته الصريحة فى مجله الجهاد وغيرها بمقاطعه البضائع الامريكية مع معامله أمريكا بما يستحقونه كأعداء لا كأولياء.
.ويستمر أبو عبد الله فى سرد تحليله ويسوق قرائن على اشتراك الحكومة السعودية فى عملية اغتيال الدكتور عبد الله عزام, كمنفذ -- كما يقول -- لرغبات الولايات المتحدة الامريكية -- فيقول:
أولا : السعودية كانت حريصه على منع أى تحريك للشباب السعودى نحو الجهاد, وكان ذلك واضحا عند التحقيق معى عندما طلبوا منى إقرار بعدم حث الشاباب على الجهاد.

ومعلوم أن الشيخ عبد الله هو أكبر الدعاة الى الجهاد فى أفغانستان لذا فهو لحكوم المملكة فى هذا الجانب.
ثانيا : تحرضه على الجهاد فى فلسطين, وتحريضه على مقاطعه البضائع الامريكية وإستعداء المسلمين عليها, جعله هدافا لكلاهما, ومعلوم أن السعودية هى أهم حليف استراتيجى فى المنطقة بعد إسرائل.
ثالثا : "عبد الله المنيع" المتهم الأول فى تمثيليه طائرة إسلام آباد كان شديد العداء لرموز الحركة الاسلامية خاصه فى ساحة الجهاد, وشمل الشيخ عبد الله بعده تقارير سيئة رفعها الى المملكه, واتهمه فيها بتكوين تنظيم مع أسامه بن لادن, والشيخ عمر عبد الرحمن لقلب نظام الحكم فى المملكة.
و"المنيع" مكلفا بتوزيع الأموال التى يرسلها له سلمان من ترعات الشعب السعودى المرسلة لمعاونه الافغان, فقام بتجنيد بعض الشباب السعودى فى وسط المجاهدين للتجسس على إخواهم.
))))
ونظن حسب القرائن أن اليهود طلوا من أمريكا التخلص من الشيخ عبد الله وتلك بدورها كلفت حكومتى السعودية وباكستان فى تنفيذ الجريمه.
وقد يتضح الدور كله عندما يأتى اليوم الذى يمثل فيه المجرمون الحقيقيون أمام المحكمه الشرعية العادله.
وإلى هنا انتهت شهادة ابا عبد الله فى تلك القضية.
))))

التمهيد الدولى .. للجريمة المركبة

منذ اغتيال ضياء الحق, بات واضحا أن الأحداث فى أفغانستان, وما حولها قد دخلت طورا آخر مختلف, لم يشك أحد فى أن قتل ضياء تم بفعل مباشر ومشاركه واضحة من الامريكان والسوفييت معا.
فكلاهما استفاد من الحدث.
كان من السهل استناج أن هناك أوقاتا صعبة تنتظر التواجد العربى فى أفغانستان -- بل والجهاد فى أفغانستان بشكل عام.
ولكن مع استعارمعارك جلال آباد فى مارس 1989 بدأ الإعلام الدولى يستهدف العرب مباشرة, وكان ذلك نذير شؤم أن الضربات المادية مباشرة, فى طريقها الى التكوين الجهادى العربى الملتف حول جهاد أفغانستان, وأكد ذلك أيضا حقيقه أن ما يطلق عليه لقب "الأعلام الدولى" ليس سوى جهاز قتل معنوى وسياسى تستخدمه الولايات المتحدة وإسرائيل/ فى تصفيه خصولها سياسيا ومعنويا قبل الاجهاز المادى عليهم ؛ إذا كان ذلك ضروريا. »
أن أمريكا استبدلت فى عهد سطوتها -- كلمة امريكية يكلمه أخرى هى دولى -- حتى تتجنب إثاره مشاعر الشعوب, المنكوبه, أو إثاره إنتباهها لم يحدث من سيطرة أحادية أمريكية, موهمه إياها أن ما يحدث هو شئ دولى وليس"استفرادا أمريكيا ", فهناك مثلا البنك الدولى, والبوليس الدولى, والاراة الدولية, والقرارات الدولية, الشرعية الدولية... إلخ.
أن أمريكا هنا تتحدث نيابه عن العالم أجمع, كحق مكتسب لها كأقوى دولة فى العالم.
من هنا كان للبوليس الدولى (إنتربول) دور ما فى عمليه إغتيال الدكتور عبد الله عزام وافتعال عملية إختطاف الطائرة التى تمت فى الليله السابقه للإغتيال, فقد أبلغت الولايات المتحدة وظلها الدولى المملكة المتحدة أبلغتا باكستان عن طريق "الانتربول" بأن أعضاء منظمة ما اصبحوا نشطين من أجل ضرب المصالح الامريكية والبرطانية, ليس فقط فى أوروبا بل أيضا فى باكستان, وطلبت باكستان بإتخاذ الاجراءات الامنية اللازمة لحماية مصالح ورعايا الدوليتين فى باكستان. (صحيفة المسلم 89/5/15) كان ذلك تمهيدا للأجوء لما سوف يحدث فى نوفمبر القادم.
وقبل ذلك باسبوعين تقريبا أذاعت وكالة رويتر هذا النبأ من اسلام آباد (ضاعفت السلطات الباكستانية اجراءات الامن وأعلنت حالة التأهب فى مطارات باكستان بعد أن هددت جماعة سرية بخطف طائرة تابعة للخطوط الجوية السعودية, وقال مسئولون أمنيون لوكالة الانباء الباكستانية الرسمية أن وزارة داخلية اكستان تلقت التهديد فى وقت مبكر من هذا الشهر من مجموعة تسمى نفسها "جند العداله") جريدة الاتحا 1/5/89.

ومعنى الخبر أن التهديد كان فى بدايات شهر أبريل أى ومعارك جلال آباد مازالت فى ذروتها -- وفى نفس الوقت تقريبا كانت إذاعتا موسكوا وكابل تتهم العرب فى أفغانستان بالتدريب على خطف الطائرات.(!!)
لقد بدأ العمل بالاعلام الدولى (الغربى) وانتهى بالاعلام الشيوعى (موسكو وكابل), مرورا بجهاز الانتربول المهيب, ثم تأتى خاتمه المطاف ومسلك الختام على يد "عبد الله المنيع" أحد كبار جهاز الجاسوسية السعودية فى باكستان, ومدير الهلال الاحمر السعودى فى بشاور, والذى سلم سلطات باكستان قائمه طويله من أسماء الشباب العرب "الارهابيين" والذين اتهمهم بالوقوف خلف حادث محاولة إختطاف الطائرة السعودية, والتخطيط لعمليات إرهابية أخرى.
نظرة الى هذا الخط الطويل والمتنوع تعطينا فكرة عن مدى وعمق التنسيق الدولى الجديد الذى تحركه أمريكا واسرائيل فى مواجهه العمل الاسلامى وبالتالى مدى خطورتة وتأثيره علي المسلمين.
كان الشيخ عبد الله عزام يعيش أسوأ فترة حياته علي الاطلاق, وكان معنوياته فى الحضيض, فقد تزاحمت عليه المشاكل وتراكمت على نفسه الاحباط تلو الآخر, وتكررت خيبات الامل بشكل متسارع, كان ذلك بينما الاخطار التى تهدد حياته تزداد, فمتد شهر نجاه من انفجار قنبله وضعت له تحت منبر المسجد الذى يخطب فيه الجمعة.
وقد حدثنى مجاهد فلسطينى قديم بأن الشيخ عبد الله قد وصله بشكل سرى تحذير من أحد كبار العملين فى سفارة فلسطين فى أسلام آباد, أنه قد صدرت أوامر للسفارة بالمشاركة فى عملية إغتيال "الدكتور عزام" فى عملية متعددة الاطرف, يرأس الطرف الباكستانى فيمها "نصير الله بابر" أحد أعمده حزب "بى نظير بوتو" فى منطقة بشاور الحدودية (ووزير داخليتها فى حكومتها الثانية.(
ومنذ أسابيع قليله مات مساعدة الاول -- تميم العدنانى -- بطريقه غريبه فى الولايات المتحدة أثناء أجراء عملية تخفيف وزن -- وكثر الهمس فى بشاور حول أحتمال أنه قتل عمدا , قائد حرس الدكتور عبد الله عزام ومرافقه الشخصى وهوأيضا سائق سيارته هو شخصية أمنية فلسطينية وموقه, وكان يساريا في السابق, وشغل منصب مسئول العمل الفدائى لمنظمة التحرير فى شرق أورو ا, ثم هداه الله على يد الدكتور عزام, فعينه فى ذلك المنصب الخطير.
وصباح الحادث تخلف ذلك الشخص عن مرافقه الشيخ, لسبب بدا منطقيا , وكان ذلك يحدث للمرة الأولى, فاستقل الشيخ سيارة إبنه الاكبر محمد الذى كان يقود السيارة, والى جانبه أخيه الآخر (إبراهيم), كانت تلك أول مرة يركب فيها الشيخ تلك السيارة مع أولاده, تحرك الركب صوب مسجد "سبع الليل."
وربما كان يفكر فى موضوع خطبته لهذا اليوم, كان لديه موضوعان لاشك فى أنه سيتناولهما, الاول موضوع المصالحه بين حكمتيار وربانى, وقد نجح ليله أمس, وبصعوبة بالغه فى إنهاء حصوله على تقيمهما على وثيقه اتفاق .
والموضوع الثانى, هو تلك الانباء المشوشه التى جاءت فى إذاعات الأمس, حول حادث الطائرة السعودية المتجهه من إسلام آباد الى جده, والتى قيل أنها تعرضت لمحاولة تخريبية, ربما كان المقصود منها حياة عدد من كبار الضيوف العرب واليمنيين, الذين كانوا يصحبه الشيخ عبد الله لفترة قصيرة ومن بينهم عالم اليمن الاشهر, الشيخ الزندانى وهو من قادة الاخوان المسلمين هناك, ولم تكن الاخبار واضحة أو تفصيلية, لكنها تكفى للاستنتاج بأن هناك شيئا غير عادى قد حدث.
لم يكن أمام الشيخ وقتا طويلا كى يسترسل فى أفكاره... فما هى إلا دقائق, حتى وصلت السيارة الي التقاطع الفرعى الذى يقود الى المسجد, هدأ السائق سرعته الى أقل حد ممكن كى يعبر من فوق جسر صغير يمر من فوق مصرف مفتوح يسير على طول ذلك الجانب من الشارع, وكان عمل البلدية يعملون فى إصلاحه منذ أسابيع وقد أنتهى منذ فترة قصيرة, تحت الجسر كانت شحنه المتفجرات قد وضعت, وخرج منها سلك طويل (حوالى 50 متر) ينتهى طرفه عند محطة بترول قريبه, وعند طرفه الآخر في إصلاح ذلك المجرى وهما يتجاذبان اطراف الحديث ويأكلان الموز.
كان صاحب المحطة قد ارتاب فى هذين الشخصين, فالعمال لا يعملون عادة يوم الجمعة, ثم ما هذا السلك الذى يأتى زاحفا فى الطين الى جانب المجرى المائى تم يبرز فجأة قريبا منهما؟

لقد اتصل بالشرطة تلفونيا يبلغهم بشكوكه تلك, لكن ساعة أو نحو ذلك قد مرت ولم يصل منهم أحد, لكن الشيخ وصل, فى سيارة لم يستخدمها قبلا , وبدون رئيس جهازة الأمنى, وعبرت العجلات الاولى للسيارة من فوق الجسر ثم ... إنتهى كل شيء.
لنقرأ كيف كتبت أحدى مجلات بشاور الناطقة بالعربية -- وهى الثبات التابعة لسياف -- حول الحادث وشهادة أحد العرب الذين تواجدوا فى موقع الحادث, فى عددها الصادر بتاريخ (16/12/89) قالت المجله.

إثر إنفجار مروع فى بيشاور
إستشهاد د. عبد الله عزام
وأبنيه محمد وإبراهيم

بشاور- الثبات: استشهد الشيخ عبدالله عزام مع أبناءه (محمد, إبراهيم) عندما كانوا فى طريقهم لأداء صلاة الجمعة في مسجد (سبع الليل) يوم الجمعة 14010/4/26ه- الموافق 24/11/1989م وقبل أن تدخل سيبارة الشيخ للشارع الجانبى المؤدى إلى المسجد انفجرت أثر مرورها على قنبله وضعت بدقه عند مدخل الطريق, مما أدى إلى إنشطار السيارة, كما دفع الانفجار الشيخ عد الله عزام, خارج السيارة فارتطم بسيارة أخرى وسقط والدم ينذف من فمه وأنفه وأذنيه, بينما طارت أشلاء ولديه (محمد, وإبراهيم) مبتعدة عشرات الامتار عن مكان الانفجار, ويقول شاهد العيان الأول (عوض مختار) أن الشيخ عبد الله عزام قد فارق الحياة عقب الانفجار مباشرة وقبل نقله الى المستشفى.
ومن الجدير بالذكر أن الشرطة الباكستانية قدرت أن الشحنه المتفجرة كانت تزن أكثر من عشرين (20) كيلوا غراما مخلفه ورائها حفرة قطرها مترين وعمقها متر فى أرض الطريق المرصوفة.!!
الشواهد تدل على أن جهة منظمة تقف وراء التفجير تتعت الشيخ منذ خروجه من منزله وحتى وصوله الى مكان الانفجار حيث مرت أكثر من سيارة على ذات الموقع ولم يحدث شيء مما يدل علي وجود شخص أو أشخاص قرب مكان الانفجار تأكدوا من سيارة الشيخ قبل تفجير الشحنة.
والجدير بالذكر أن الشيخ قد تعرض لمحاولة اغتيال عندما زرعت قنبله تحت منبر الجمعة الذى يخطب عليه فى مسجد سبع الليل بتاريخ (13/10/1989) إلا أن الحارس أكتشف وجودها قبل موعد الصلاة.

قصة إستشهاد الشيخ عبد الله عزام
شاهد عيان يروى للثبات

خرجت من بيتى قاصدا المسجد لأسمع ذلك الصوت الذى ينطلق بالحق... ذلك الصوت الذى جاهد فى سبيل الله بنفسه وأولاده جهاد عمليا وليس من خلال المنابر فحسب... فكان ذلك السر فى تلقى الناس لخطبته فى شوق... فكلماته تدخل إلى أعماق القلوب لأنك تحس فيها الصدق وتلمس فيها العمل...
وأوقفت السيارة عند الشارع العام وعلى حافة الطريق عند رأس المدخل الذى يؤدى إلى المسجد من الشارع العام كانت الساعة الثانية عشر ظهرا تقريبا وكان زجاج السيارة مفتوحا وبدأت أغلقه ... وما أن أغلقته حتى سمعت صوتا انفجار كبير تفزع له القوب... فإذا بسيارة أمامى تنشطر نصفين وأحسست أن جسما قد أرتطم بسيارتى, ولا يزال الدخان الاسود عالقا فى الهواء, فنزلت فإذا بالجسم هو شيخنا الشهيد عبد الله عزام...
ياإلهى فهذه السيارة التى أمامى تخص أبن الشيخ ولا يعرفها إلا القليل والشيخ لا يركب مع أحد من أبناءه... لا حول ولا قوة إلا بالله... إنا لله وإنا إليه راجعون... وقفت برهة لا ألو على شيء فقد فقدت عقلى لفترة وجيزة لا أعرف ماذا أفعل فأنا من المفترض أن أكون من القتلى ولكي لم أصب بشئ !! وبعد هنيهة سمعت الأخ أبو الحارث يصيح يا إلهى ... لقد قتله المجرمو... أرفعوا معى: الشيخ... فرفعناه لنضعه على حافه الطريق (الرصيف)... واستقبلنا الشيخ عبد الله بوجهه فقد كان نديا كأنما هو في نوم عميق لم يتكلم ولم نر فيه جرحا ولا خدشا على وجهه حتى أن الطاقيه التى كانت على رأسه كانت ماتزال تغطى جزءا من رأسه, وكان ثوبه سليما غير أن الدم كان يتدفق من فمه وأنفه !! عندها تيقنت أن الشيخ قد اختاره الله إلى جواره شهيدا ... وبعد

قليل تنبه الناس فإذا بأشلاء متناثرة هنا وهناك بعضها على بعد مائة متر... وكانت تلك الأشلاء من جسد ابنه (محمد وإبراهيم) اللذان كانا معه فى السيارة...
يالها من أيد غادرة جبانه, نالت من الشيخ وأبنيه غيله ... قتله المجرمون ظنا منهم أن الجهاد سيتوقف, ولكن هيهات فقد ربى الشيخ جيلا وترك عملا ومنهاجا ولن تتوقف القافله فهى ماضية ولن تحلو الحياة بعده فإنا إن شاء الله على ما فارقنا عليه الشيخ وإخوانه الشهداء من قبله سائرون, فلا نامت أعين الجبناء... شاهد العيان/ عوض مختار
صحف يوم السبت (25/11/89) صدرت وهى تحمل نبأ إغتيال الشيخ عبد الله عزام الى جانب التفاصيل الأولية حول حادث الطائرة السعودية, بدون أى رابط بين الخبرين.
وهذا ما قالته صحيفه الاتحاد حول حادث الطائرة فى ذلك التاريخ.
أسلام آباد -- وكالات الأنباء: نجت طائرة ركاب سعودية من التدمير أمس, وقالت مصادر ملاحية فى إسلام آباد أن الطائرة من طراز 747 وكانت تنقل 248 راكبا , وقد نجت من التدمير بعدما أدى سوء تعامل نقل أمتعة الركاب مع أحدى الحقائب التى كانت تضم قنبله الي تحريك فتيل التفجير عن موضعه قبل شحنها فى الطائرة.
وذكرت مصادر باكستانية مطلعة انه تم العثور على أصبعى ديناميت, وقالت الشرطة انها اعتقلت عددا من الركاب للتحقيق.
وتبحث السلطات الباكستانية عن شخص بعث برساله الى أمن مطار إسلام آباد, يحذر فيها من وجود قنبله على متن طائرة الرحلة رقم 367 المتجه الى الرياض بعد إقلاع الطائرة.
وأضافت المصادر أن الطائرة تلقت أمرا بالهبوط فى كراتشى حيث أسفر التفتيش عن وجود قنبله في حقيبه مدرسية فى غرفه الأمتعة الطائرة, ولم يعلن أحد من ركاب الطائرة ملكيته للحقيبه.
وكانت منظمة مجهوله قد أكدت بعد قليل من إقلاع الطائرة, وجود قنبله على متن الطائرة وطلبت بفدية مقدارها 15 مليون دولار, وذكرت الصحافه الباكستانية أن المنظمة قامت أيضا بتوصيل رساله خطية الى المطار توضح أن أحد أعضائها موجود على متن الطائرة وسيقوم بتفجير القنبله اذا لم يتم تلبية مطالبها, وقام بنقل الرسالة سائق سيارة أجرة اعلن أنه تسلمها من شخص أجنبى, وبعد اتصال سلطات المطار قبطان الطائرة وطلبوا منه الهبوط فى كراتشى تم أخلاء الركب والامتعة.
هناك رابطة مؤكد بين حادث الطائرة السعودية, مساء الخميس 23/11/89 وحادث إغتيال الدكتور عبد الله عزام ظهر الجمعة 24/11/89.
وبمعنى آخر كان لابد من تدبير حادث -- مثل حادث الطائرة -- قل إغتيال الدكتور عبد الله عزام, وذلك لأسباب التالية:
-1إستخدام الحادث لتأليب الرأى العام فى باكستان (الارض التى يعيش عليها المجاهدون العرب وعائلاتهم ,(والرأى العام فى السعودية, الخذان البشرى والمالى والادبى للمجاهدين العرب, واليمن (الخزان البشرى.(
ذلك باعتبار "الجريمة" حدثت على أرض باكستان, ضد طائرة سعودية, عليها شخصيات شعبية ودينية بارزة من بلاد اليمن.
-2استخدام الحادث وبشاعته فى تبرير عملية "العقاب" التى ستنزل "بالمجرمين", فتبدأ حملة المتقالات تشمل فى البداية قائمة التى قدمتها المخابرات السعودية (قائمة عبد الله المنيع) -- التى تضمن أنهيار تنظيم القاعدة اعتقال هيكل كوادره الاساسى -- وتتوسع الاعتقالات بطبيعة الحال, لتشمل نطاقا اشمل, فيقع التجمع العربى فى دائرة الرعب, أو على الاقل يلتزم بالدفاع, فلا يتجه فكره الى المواجهه والانتقام عند اغتيال الدكتو عبد الله عزام, وهو ما كانت تخشاه السلطات الاكستانية خاصة ثم الغربية, أن يتوجه العرب الى عمل انتقامى ردا على إغتيال زعيم, خاصه وأن اعداد العرب كبيرة ومسلحة واكثرهم ذوى خبرة قتالية مشهودة.
وهذا الهاجس ظل جاثما على صدور المخططين لتصفية العرب المجاهدين, حتى وصلوا فى النهاية الى الحل الى نفذوه في حملة المطاردة والابعاد فى ابريل 1992.
-3التمهيد لحملات مطاردة وتصفيه للمجاهدي العرب عند العودة الى بلادهم على اعتبار أنهم قد "إنحرفوا" وتحولوا الى الارهاب البشع ضد المدنيين الابرياء, "بما يتنافى ومفاهيم الاسلام الصحيح والعقيده السمحة."
-4القضاء على السمعة الادبية الكبيرة التى حازها المتطوعون العرب الذين شهد لهم الجميع بالشجاعة والتضحية, وتحويلهم من أبطل منتصرين الى مجرمين ممقوتين.

-5الوصول من ذلك كله الى تشويه "فريضة الجهاد" وصد المسلمين عنها, وتزيين طريق ممالأة الظالمين والقوى الدولية, والتنازل لهم عن حقوق العباد, وحقوق الله.
لم يكن الشباب العرب فى حد ذاتهم هم المستهدفون, بقدر ما يمثلونه من قيمه معنوية للاسلام المجاهد, الذى يخشاه اليهود واخوانهم فى أمريكا والدول الغربية الصليبيه.
فى صباح يوم السبت 19 ديسمبر ظهرت صحف الصباح فى باكستان وهى تحمل فى صدر صفحته الأولى صورة "محتسب" وهو يرتدى نظارته الطبيه فى صورة جانبه وهى ينظر الى الارض, مع عنوان بالخط العريض عن "اعتقال إرهابى عربى."
--على نفس الطريقه الامريكية التى تلصق التهم البشعه بصفه عربى أو مسلم لابنفس المتهم بالعمل -- حتى لا يكون الحادث إدانه المتهم قدر ما هو إدانه الجنس أو لدين.
ويقول الخبر أن رئيس المباحث الفيدرالية فى باكستان (FBI) ويدعى "مالك محمد نبى خان" والذى ادعى أنه قد تراس بنفسه المجموعة التى اعتقلت المتهم, والذى وصفه بأنه متطرف عربى مشهور (!!), وأنه المتهم الرئيسى فى حادث الطائرة السعودية, وأنه هو الذى وضع القنبله فى الطائرة... إلخ.
والغريب أنه بعد شهر بالضبط (19 يناير 1990) ظهرت نفس الصحف وفى صفحاتها الأولى نبأ يقول بأن باص ركاب تابع لجماعة جميل الرحمن ؛ التى تديرها المخارات السعودية مباشرة« قد أنفجر فى مقابل مطار إسلام آباد قبل وصول طائرة قادمة من السعودية بخمس دقائق, وكان باصا آخر تابعا لمضافه "بيت الانصار" فى بشاور ؛وهو مرتع مشهور لعملاء المخابرات السعودية«, واقفا هو الآخر فى انتظار نفس الطائرة.
وقالت الانباء بأن السلطات الباكستانية تحقق فى الحادث على أساس أنه تنافس بين المجموعتين.
أذن فهو مشروع جديد لضرب العرب على أساس أنهم مجموعات من الهمج الذين يتقاتلون بالقنابل على أرض باكستان كما يتقاتل حلفائهم الافغان فيما بينهم.
ولكن لاسباب مجهوله ماتت تلك القضية فى مهدها, ربما لأنها كانت اكثر رداءه من قضيه الطائرة, كما أن فكرة الصراع المسلح بين فئات متناحرة من العرب, لم تكن مقبوله ولم تشكل غطاء جيدا كما كانت تطمح الخبابرات السعودية, التى كانت ترغب فى القاء تهمة قتل الشيخ عبد الله عزام على فئات عربية كانت مخالفه له, لكنها لم تنجح فى ذلك.
لقد نجحت مسرحية الطائرة السعودية بشكل غير متوقع فى كبح جماح العرب وشغلهم بأنفسهم عن المطالبه بدم شيخهم "وأمامهم" فعندما سمعوا نبأ الطائرة مساء الخميس توقعوا أن شرا يراد بهم وأن اعتقالات سوف تحدث لهم فى تلك الليله أو صباح الغد, ولكن الغد حمل لهم ما هو أفدح... لقد اغتيل الدكتور عبد الله عزام, الرمز الاعظم للمجاهدين العرب فى أفغانستان.
وكانت ردود الفعل على الحادث مضطربه ومشوشة, بل مخرية وموضع إتهام للبعض على الأقل.
فور انفجار توافدوا على السيارة والجثث والاشلاء حولها يجمعون ما تبقى منهم, لاحظوا وجود شخص على الجانب الآخر من الطريق يصور ما يحدث وعلموا من أهل المنطقة أنه كان يصور بكاميرا الفيديو منذ دخول السيارة وقبل الانفجار (!!), أمسكه الشباب العرب ورجال أمن الشيخ عبدالله عزام وأوسعوه ضربا وأخذوا منه الكاميرا, فتدخل فاعلى خير -- مجهولين -- ولكنهم من العرب وأقنعوا أخوانهم المتهيجين أن يعيدوا كاميرة الفيديوا لصاحبها وتركه ينصرف, وقد حدث ما أرادوه وتركوا الرجل ينصرف مع المادة القيمة التى معه رغم أنها تحوى بالتأكيد أسرار هامة للعملية, وللشخصان الذان فجرا العبو من مسافة 50 متر عن الحادث والى جانب محطة النزين القريبة, أضافه إن هذا المصور نفسه يكون فى الاغلب أحد الاعضاء الهامين فى العملية وأنه يصورها لصالح جهاز الاستخبارات الذى يشرف على العملية.
والشكوك لا تحوم حوله فقط بل حول العرب الذين اطلقوا سراحه مع فيلمه الخطير, كما تحوم حول جهاز أمن الشيخ عزام بشكل خاص, بل تحوم شكوك مهمة حول بعض أقاربه الاقربين من ساكنى الارض المحتلة والذين يحيطو به فى كل آن.
والغريب فى أمر هؤلاء الأقارب كونهم يحضرون الى بشاور بتصريح خاص -- مثل غيرهم -- من قوات الاحتلال الاسرائيلية التى تعلم بالطبع علاقة القرابه بينهم وبين الشيخ الذى أعلن الحرب على إسرائيل.
ليس فقط فى مجال الكلام والخطب الرنانه, بل عبر عناصر نفذت عمليات فدائية فى فلسطين, وكان آخرها عملية فى طبرية سنتحدث عنها فيها بعد.

فى هذا التجمهر المتهيج المضطرب تعالت بعض الهتافات ضد أمريكا وإسرائيل وتعهدات بالانتقام, ولكنه كان مجرد كلام لم ير طريقه إلى التنفيذ حتى يومنا هذا, والعكس هو الذى حدث, فقد حزم اكثرهم أمتعته وأختفى من بشاور لعدة أسابيع خوفا من عاصفة هو جاء أظلت بشاور عد حادث الطائرة ثم حادث الاغتيال المفجع.
شعر أنصار الشيخ أن ردود فعلهم المتهافته كانت مخزية ولا تتناسب مع صراخهم المزعج, فى حياة الشيخ وعند وفاته. فهداهم فكرهم العبقرى الى كتابه اسم "عبد الله عزام" و"تميم العدنانى" فوق صواريخ صقر المصرية وقصفوا بها كابل ونشروا تلك الصور العنترية فى مجلتهم ؛الجهاد«, على أنها أنتقام للشهيدين الكبيرين.(!!)
لقد أضافوا لأنفسهم بذلك إتهاما جديدا على إعتبار أن ذلك العمل أنما هو صرف للأنظار عن الجناه الحقيقين, فالذين قتلوا الشيخ عبد الله لم يكن أحدا منهم فى كابل, ولا حتى فى موسكو, والمتظاهرين حول جثته يوم الجمعة فى بشاور حددوا بدقه الجهات التى تقف وراء عملية القتل , بأنهم أمريكا وإسرائل, وهذه هى الحقيقه.

بين فلسطين... وأفغانستان

لا شك عندى, وعند كثيرين ممن عاصروا تلك الاحداث بأن اغتيال الدكتور عبدالله عزام كان بسبب قضيه فلسطين.
وقد أفصح هو منذ البداية بأن حل القضية الفلسطينية لايكون ألا بتحرير فلسطين عن طريق الجهاد, وكما حدث فى أفغانستان, بالامكانات المتوفرة, وبلا إبطاء تحت أى دعوى.

واكتسب الشيخ عبد الله مكانة أدبية كبيرة وثقه فى أساط إسلامية شعبية واسعة, واعجابا وفخرا داخل الارض المحتلة فى فلسطين.
بأن يكون أحد أبناء فلسطين هو الرمز الاعلى للجهاد فى أفغانستان, أهم قضايا ما بعد الحرب العالمية الثانية.
كان تأثير ما يحدث فى أفغانستان مضاعفا علي نفسيات الشباب فى فلسطين, التأثير الأول هو العودة الى "اكتشاف الجهاد" كأسلوب مواجهه للإحتلال اليهود, أو أى عدوان آخر على المسلمين, التأثير الثانى هو وجود عبد الله عزام -- الفلسطينى الاصل -- كرمز اسلامى عالمى للجهاد فى أفغانستان.
ذلك التأثير المضاعف هو الذى تولد عنه حركه حماس (حركة المقاومة الاسلامية) فى فلسطين عام 1987, والتى قادها الشيخ أحمد ياسين, الى مازال فى السجون الاسرائيلية حتى وقت كتابة هذه السطور.
وبعد ذلك إندلاع حركة "الانتفاضة" فى فلسطين فى أواخر عام 1988 والتى بدأت الجهاد ضد اليهود بثورة شعبية سلاحها "الحجارة" والحماس الدينى.
لم يتوقف دور الرجل عند حد التأثير الروحى والمعنوى على شباب فلسطين, بل تعداه الى مراحل تالية, بدأت بأن جذب أكبر ما يمكن من شباب فلسطين الى الساحة الافغانية سوء كانوا متدينيين, أولهم سابقه انتماء الى منظمات فلسطين علمانية.
وحاول الاستفادة بهم فى دعم وتطوير عمل المجاهدين الافغان, ومن جانب آخر بث روح الجهاد فيهم واقناعهم بذلك الطريق.
وحرص الدكتور عبد الله عزام على احاطة نفسه بالشباب الفلسطينى أدى الى إتهامه -- ومن حوله -- بأنهم تجمع قطرى -- ونشأ عن ذلك عدة مشاكل.
بل وأنقسامات داخل صفوف العرب فى بشاور دبروز التجمعات القطرية على ساحة بشاور, واحيانا فى الجبهات.
ظهور الاسلام كعنصر محرك للمقاومة فى فلسطين, كان أخطر الاحداث على الساحة الفلسطينية منذ ضياع تلك البلاد, ودفع ذلك اليهود الى التحالف مع التيار العلمانى الفلسطينى المتمثل فى منظمة التحرير الفلسطينية لمقاومة التحرك الاسلامى.
ذلك التحالف, بين اليهود ومنظمة التحرير, أسفر عنه اغتيال الدكتور عبد الله عزام كما اسفر عنه قتل العديد من قيادات المنظمة المخلصين, والمصرين على القتال ضد اليهود, مثل أبو نضال الذى أغتال الكوماندوز الاسرائيلية فى تونس بتواطؤ واضح من عرفات ومنظمة التحرير.
فى آخر عام 1988 -- أى بعد حركة الانتفاضه فى فلسطين بعام واحد -- غبرت الولايات المتحدة سياستها تجاه منظمة التحرير, وتم إعلان الدولة الفلسطينية (على الورق طبعا) لذا رحبتا بها الأمم المتحدة.
وفتحت تلك الدولة الوهمية سفارت لها فى اكثر دول العالم, وكان الهدف واضح وهو تجهيز الساحة الفلسطينية والدولية للانفضاض على القوى الاسلامية داخل فلسطين -- والدول المحيطه بها خاصة مصر, وجزيرة العرب, وهى الدول التى شارك شبابها مشاركة واسعة فى أفغانستان.
وفى الحقيقه أن معظم التيارات العلمانية واليسارية فى بلاد العرب قد تحالفت مع أمريكا وأسرائيل ضد الظهور الاسلامى الجديد.
وظاهرة الدكتور عبد الله عزام كما أزعجت إسرائيل قد أزعجت منظمة التحرير الفلسطينية -- بنفس القدر, التى رأت فيها منافسا خطيرا على "القضية التى ترى فيها المنظمة دجاجة تبيض ذهبا وثدر المليارات سنويا.
وقد أنزعج الاخوان المسلمون من نفس الظاهرة -- ظاهرة عبد الله عزام والشباب المجاهد فى أفغانستان, فالدكتور عزام أصبح بالفعل رمزا لايدانية أى قزم سياسى مهما كانت الألقاب الفخمة التى يحملها داخل جماعة الاخوان التى هدمت وعفى عليها الزمن.
والغريب أن تجتمع منظمة التحرير -- العلمانية -- مع جماعة الاخوان المسلمين -- الأصولية -- على تهديد واحد للدكتور عبد الله عزام, وهو
"لا تمد يدك الى فلسطين, ولا تستخدم السلاح هناك."
إخوان الاردن وفلسطين حذروه بغلظه وجفاء دفعته الى التهديد بأن يسحب علنا تأييده لحركة حماس فى فلسطين -- والتى روج لها فى خطبة ومقالاته.

فاضطروا -- مرغمين -- على تطييب خاطره -- لأن وزن عبد الله عزام كشخص بما يمثله فى العالم الاسلامى أصبح أثقل فى ميزان المسلمين من جماعة الاخوان المنتشرة على سطح العمل الاسلامى مثل زبد السيل ".
أما "المنظمة" فقد هددته صراحة بأنها "ستقطع يده" أن هو مدها الى داخل فلسطين المحتلة !!. وقليلون هم الذين تنبهوا الى أن المنظمة منذ عدة سنوات -- وفى اعقاب طردها بيروت -- قد إنقلبت رأسا على عقب وعملت بالتنسيق مع الاجهزة الامنية الاسرائيلة و الامريكية فى تصفية العناصر المسلحة التى تعمل ضد إسرائيل, سواء كانوا من افراد المنظمة أو حتى قياداتها, وكان ذلك هو طريق المنظمة وزعيمها عرفات فى الحصول عل الثقه الاسرائيلية الامريكية والوصول أخيرا إلى حملة فى تولى الزعامة "الشرعية" للشعب الفلسطينى, ومشروع الدولة الفلسطينية.
)))

الدكتور عزام لم يكن ليستطيع أن يتوقف عن الاتجاه نحو فلسطين, وحتى لو رغب فى ذلك فإن شباب فلسطين, وما حولها قد تحركوا صوب الجهاد, وصوب أفغانستان, وأتخذوا من الرجل هاديا ومرشدا.
لقد دارت الآلة ولم يكن من الممكن إيقافها حتى تبلغ مداها -- لذا قرروا تحطيمها. قرروا قتل عبد الله عزام, واجبها من الجهاد فى أفغانستان, والتنكيل بالعرب المجاهدين وتشريدهم.
لقد نجحوا فى مخططهم الى درجه كبيرة -- لكن تجاهم لم يكن كاملا وظلت عناصر فاعله خارج سيطرتهم ونجت من المحرقه أو "الهليوكوست."

- قال بعض القريبين من الدكتور عبد الله عزام أنه كان فى حالة معنوية سيئة للغاية قبل استشهادة, بل كان كمن يتمنى الموت نتيجه للظروف السيئة والاحداث التى مرت على ساحة الجهاد فى ذلك العام, والتى أدت الى وضع الدكتور عزام موضع الاتهام, بل والهجوم من قبل قطاعات من الشباب فى بشاور أو خارجها. وسوف نتحدث عن ذلك بشئ من التفصيل فيما بعد.
ومع الاظلام الجزئى الذى حل بالساحة الافغانية, إلا أن أضواء روحانية صافية انبثقت من داخل فلسطين, ولا شك أن الدكتور عزام كان له دخل فى ذلك, بدرجه أو أخرى.
كان فى فلسطين حركة " الانتفاضة" وظهرت عمليات فدائية من شباب مجاهدين كانوا فى أفغانستان, وقد رأينا كيف أن أسرائيل طلبت من باكستان فى عام 1988 إغلاق معسكرات التدريب العربية.
وقبل اغتيال بعدة أسابيع حدثت عملية فدائية فى فلسطين, دقت من أجلها جميع أجراس الانزار داخل اسرائيل, والسبب هو أن بطل العملية هو ضابط اردنى سابق, ومن أصل شيشانى, وجاء من أفغانستان, كل ذلك دفعه واحدة.
أحدى مجلات بشاور العربية نشرت تفاصيل حول ذلك الحادث -- وهو مجلة الثبات التابعة لسياف, فى عددها الثالث بتاريخ 23/9/89 -- فى زاويتها السفلى من صفحتها الاخيرة, ولكن بشكل بارز وبالألوان نشرت المجلة صورة لشاب ملئ قوى ورجوله يصوب مسدسه مع عنوان باللون الاحمر "بطل عملية طبرية" تقول المجله:
تنفرد الثبات بنشر صورة بطل عملية طبرية التى قتل فيها عشرة جنود إسرائيليين, ولين جنديين كما إسرائيل.
إسم الشهيد ضرار وقد مكث مع الشيخ سياف فترة سنتين, أسس حلالها "معهد إعداد المجاهدين" وكان يتطلع الى جهاد إسلامى بطول المعمورة كلها وهو مؤلف نشيد "وا إسلاماه" كما علق على فيلم (لا عزة لنا إلا بالجهاد, وقد عاد الى الاردن نتيجه لظروف صحية حيث نفذ العملية الاستشهادية التى فجرت أزمة بين الاردن والكيان الصهيونى, والثبات إذ نزف نبأ استشهاد, نسأل الله أن يتقبله قبولا حسنا , ولا نامت أعين اليهود.
لكن أحد أصدقاء الشهيد ضرار, وهو مجاهد أردنى من أصول شركسية أضاف تلك المعلومات:
الشهيد ضرار - وأسمه الاصلى محمد منصور -- هو ضابط سابق فى الجيش الاردنى, وكان برتبه رائد فى سلاح الهندسة, وهو من أصل شيشانى, وكان قد غادر بشاور بهدف احضار عائلته من الاردن, والبقاء فى بشاور -- قريبا من جهاد أفغانستان -- بشكل دائم. ولكن السلطات الأردنية منعته من السفر.
فقال مرارا مستنكرا " الا يوجد جهاد سوى فى أفغانستان؟", وقرر فى نفسه أن يقاتل اليهود فى فلسطين, وبحكم عمله فى سلاح الهندسه فقد كانت لديه فكرة كاملة عن الحدود ودفاعاتها وحقول الالغام حولها.

وكان تسليحه وقت العملية مكون من كلاشنكوف (مع سته مخازن للزخيرة) ومسدس -- "ورما قنابل يدوية أيضا."
وقام ضرار بعملية -- بعد اختراق الحدود -- عند بحيرة طبرية -- قرب قرية هناك تسمى "سمخ" -- ربما كان أسمها العربى سمح -- وهناك إشتبك ضرار مع مجموعتين من الجنود اليهود وقتل منهم ثلاثة عشرة شخصا قبل أن يتمكنوا من قتله.
لقد أصيب اليهود صدمه عندما تعرفوا على هوية الشهيد, واحتفظوا بجثته عدة أيام قبل أن يسلموها لحكومة الأردن, وتساءل اليهود بدهشه غبيه" هذا الشيشانى ما دخله بقضيه فلسطين."?
أخبرنى الصديق الشركسى أن الشهيد (محمد منصور) ربما تعمد أن يقوم عمليته فى تلك المنطقة لقربها من قرية فى إسرائيل تدعى كفر كما يسكنها شركس, وهم موالون تماما لإسرائيل بل ومتحمسون لها, وربما أراد الشهيد أن يوقظ مشاعرهم الاسلامية, بعملية تلك.
كانت عملية الشهيد ضرار نقطة ضوء ساطعة على أرض فلسطين, ولكنها بلا شك دفعت إسرائيل إلى تعجيل مخطط تصفية حركة الجهاد فى أفغانستان وأولها أغتيال الدكتور عزام ثم تصفية الوجود العربى المجاهد بعد ذلك.

والغريب هو أن مخطط التصفية والإغتيال والمطاردة الذى نفذته القوى الكافرة ضد العرب الجاهدين فى أفغانستان متشابه الى درجه غريبه مع المخطط الذى طبقته نفس الجهات ضد مجاهدى الإخوان المسلمين -- فى مصر تحديدا.
كما أن العديد من الاخطاء قد تكررت لدى الحركة الإسلامية فى كلا الحالتين الجهاديتين. وهناك ميزات تردت بها كل حاله عن الحالة الأخرى مما يغرى على عقد مقارنه سريعة, تتسع لمن أراد أن يعقد دراسه مقارنه واسعة بين الحركتين الجهاديتين, وأن أننا فى حاجة الى مثل تلك الدراسة التى اعتقد باهميتها الكبيرة نمر على تلك المقارنة بين الحالتين الجهاديتين, وعلى اعتبار انه فى فلسطين وأفغانستان كانت أوسع تجربتان فى هذا القرن (العشرين) لممارسة الجهاد خارج اطار المفهوم القومى أو القطرى.
)))

أولا -- المعركة سياسيا:
كلا المعركتين -- فلسطين وأفغانستان -- تمت على مستوى السياسه الدولية وليس داخل الاطار أو الاقليمى.

معركة فلسطين:
تمت فى إطار صراع دخل المعسكر الغربى الذى كان يستبدل قيادته, لتنتقل زعامته من بريطانيا -- التى كانت عظمى -- الى الولايات المتحدة, القوة الفتية والعملاقة اقتصاديا وعسكريا , وبدأت تلك المعركة الداخلية بأقصى قدر من ضبط النفس فى اعقاب الحرب العالمية الأولى.
فإنتقل المشروع اليهودى من أيدى بريطانيا التى حشرته داخل مفهوم وطن قومى لليهود فى فلسطين, الى أيد الولايات المتحدة الاكثر خضوعا للنفوز اليهودى والاقل حرصا فى مغامراتها الدولية, فقفزت بالمشروع اليهودى الى مستوى دوله يهودية فى فلسطين, تتمدد الى أقصى ما يستطيع جيشها أن يصل.
فبدأ اليهود فى ضرب ما تبقى فى تواجد عسكرى بريطاى فى فلسطين, ثم شنوا حرب "بادة ضد القرى الفلسطينية وتمددت حدود سيطرتهم تدريجيا , حتى صدر قرار من الامم المتحدة عام 47 بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب ثم بدأت حرب 48 عندما أراد اليهود التوسع خارج ذلك الخط الوهمى.

معركة أفغانستان:
بدأت حرب أفغانستان فى أعقاب الانقلاب الشيوعى فى كابل فى ابريل 78, ولكن كانت حربا داخلية محدودة, حتى أضطر السوفييت الى التدخل عسكريا فى ديسمبر 1979 لإنقاذ النظام المتهاوى فى كابل وتفادى استيلاء المجاهدين المسلمين على السلطة.

توقع الغرب وأمريكا أن السوفييت سوف يسحقون المجاهدين فى مدة لن تزيد عن شهر, ولما انقض الشتاء والربيع, وتزايدت حركة الجهاد بدلا من أن تنهزم راهنى عليها الغرب فى استخدامها لاستنزاف الاقتصاد السوفيتى وتشويه صورة الدولة السوفيتية فى العالم.
ومع تقدم المعركة فى أفغانستان, وظهور احتمال هزيمة السوفييت تغير النظام الدولى مرة أخرى تغير ذلك النظام القديم الذى ظهر فى اعقاب لحرب العالمية الثانية -- نظام الثنائية القطبية قطب سوفيتى مركسى فى الشرق, وقطب رأسمالى فى الغرب وعاصمة للشرق فى موسكو, وعاصم للغرب فى واشنطن.
وبلا عن ذلك ظهر النظام الدولى الجديد -- و القطب الأوحد - وقفزت امريكا الى زعام دولية مطلقه بلا منافس فى المدى القريب.
وهكذا نرى أمريكا فى الحالتين والفرق هو أن حرب فلسطين كانت فى أحد جوانها إنعكاسا لعملية "إحلال" إحلال النفوذ الامريكى الجديد, محل نفوذ البريطانى القديم فى فلسطين كما هو فى بلاد العرب الاخرى, وباقي مناطق العالم
فحرب فلسطين لم تظهر الدور الامريكى الجديد -- بل كانت انعكاسا له ولكنها أدت الى ظهور القوة اليهودية التى تحكم العالم من وراء ستار بقوة المال وقوة الافساد الدولى, ولكنها بعد حرب فلسطين ظهرت لهم -- أى اليهود -- دولة على المسرح الدولى علم لإمباطورية يهودية قادمة -- موقعها الجغرافى بلاد العرب -- من النيل الى الفرات -- ولكنها ليست سوى رأس لجبل الثلج فوق مياه السياسة الدولية, فالحكم اليهودى السرى لدول العالم فى طريقه الى العلنية, أى أنه سيحكم اليهودى السرى لدول العالم فى طريقه الى العلنية, أى أنه سيحكم العالم كله من فوق دولته -- إسرائيل الكبرى -- وملك بنى إسرائيل المنتظر -- المسيخ الدجال.
فهكذا تقول نبؤات التلمود, ومن هذا المنظور يمكن اعتبار أن حرب فلسطين هى الاخرى أدت الي تطور هائل فى السياسة الدولية على المدى الطويل, بل والنهائ.

ثانيا : الاستراتيجية العسكرية للمعركة
فلسطين :
تلك الإستراتيجية لم يقم بها الطرف العربى الحكومى أو المتطوعون المسلكين, فالجيوش العربية السبعة التى شاركت فى الحرب كانت تحت قيادة الجنرال البريطانى "جلوب" الذى يقود قوات "إمارة شرق الاردن" التى إنشأتها وتنفق عليها بريطانيا, ومع ذلك كان قيادة جلوب شكلية تماما , وظلت الجيوش العربية تعمل لشكل منفرد وبدون استراتيجية واضحة أو هدف معروف. وكان ذلك بالضبط هو المطلوب, لأن الدول الاساسية في المواجهه كانت مازالت فى طور الاستعمار البريطانى, بينما بريطانيا لا تأمل فى مستقبل فى المنطقة العربية الحساسه فى مقابل الزحف الامريكى -- اليهودى, لذا ظلت جيوش الحكومات العربية, بلا إسترتيجية وحتى بلا قيادة أو سلاح ذو إعتبار. وهكذا هزمت تلك الجيوش ولم تستطيع حتى أن تدافع عن خط التقسيم الذى صدرته الامم المتحدة بل تراجعت كثيرا الى أقصى مدى استطاع الجيش اليهودى الوصول اليه محققا لدولته إطلالا على البحرين الابيض والاحمر, وبذا تحقق بالكامل الاستراتيجية العسكرية اليهودية, أى الامريكية أيضا.
أما المتطوعون العرب بشكل عام فكانوا مجرد "ذيل" للجيش العربية -- أما الاخوان المسلمين فى مصر فكان وضعهم أفضل إذا عملوا كقوة كوماندوز ملحقة بالجيش المصرى, فانحصر دورهم فى المجال التكتيكى بل فى قطاعة الاشد خطورة -- ولم يكن لديهم أدنى فرصه -- حتى لو أرادوا -- أن يصل الى درجه الاستقلال بوضع استراتيجية عسكرية خاصة بهم.

أفغانستان:
كانت الاستراتيجية العسكرية للمجاهدين مهمة أمريكية, بإعتار رؤيتها للمعركة كأحد الحروب بالوكاله في مرحلة الحرب الباردة, الهدف منها الاضرار بالسوفييت وتوطر المصالح الامريكية في المنطقة والعالم.
ولكن ضياء الحق - الرئيس الباكستانى, قد حاز لنفسه جيزا فى تلك الصلاحية التى هى فى العادة من اختصاص الدول العظمى - أى صلاحية وضع استراتيجية عسكرية/ سياسية لحرب أقليمية تم تشخيصها على أنها حرب بالوكاله.

لقد استفاد الرئيس ضياء الحق من القيمة الحيوية لبلاده فى ذلك الصراع فى مجال تقديم الدعم اللوجيستى للمجاهدين الافغان ودعمهم سياسيا فى الاوساط الاسلامي علي وجه الخصوص, على كل حال لقد دفع الرئيس الباكستانى ثمن طموحه الزائدة عن الحد وتدخله فى اختصاصات الكبار وتم نسفه فى طائرته.
أما المجاهدون الافغان فلم تظهر لهم قيادة سياسية جامعة تقوم برسم استراتيجيات سياسية أو عسكرية, وظلوا خاضعين لتوجيهات الضباط الباكستانيين من عملاء جهاز ,ISI أو لمبادرات الارتجالات الميدانية, وفى حالات نادرة جدا تمكن بعض القادة اليدانيين الموهوبين من رسم سياسات استراتيجية موضعية (!!) أى فى حدود مناطق عملهم. ومع ذلك استطاعت تلك المحاولات المحدودة من التأثير جديا على الوضع العام والى إيقاع خسائر فادحة للسوفييت, ثم سقوط النظام, ولكون تلك المبادرات الاستراتيجية كانت "موضعية" فإنها لم تؤثر على الوضع السياسى للبلاد فيما بعد النصر العسكرى فضعت البلاد لحكم عملاء أمريكا والسوفييت فى تحالف واضح ولكنه غير معلن رسميا.
أما المجاهدون العرب فقد افتقدوا كل المقومات التى تؤهلهم حتى لمجرد التفكير الاستراتيجى, وكانت اهتماماتهم إما ساذجة وخيالية.
أو أنها معلقه بمشاريع أخرى بعيده فى بلادهم التى قدموا منها, فكان تعاملهم مع أفغانستان نفعيا , كمجرد أرض للتدريب وفرصه للتنظم والتمويل.

ثالثا : الاعمال القتالية التكتيكية
فلسطين:
الاشراف الميدانى فى تلك العمليات كان للضباط العرب, وكان ذلك أشد وضوحا على الجانب المصرى, الذى عمل فيه الاخوان المسلمين كجزء عضوى ملحق بالقوات المصرية, ولما كا تدريهم تم على أيدى الجيش المصرى وتم انتقائهم بعناية شديده من قبل القيادة التاريخية للشيخ حسن البنا لذا فقد تميزت تلك القوات انضباط شديد وفعالية فائقه.
وهى الميزات التى لم يستطع المجاهدون العرب فى أفغانستان أنه ينافسوهم فيها, فانضباط العرب فى أفغانستان كان مفتقدا تماما , أما الفعالية فلم يحصولا عليها فى مناسبات محدودة, ولكن بثمن فادح فى الدماء والأموال.
وكلمه الحق الذى يجب أن تقال حول هذه النقطة تحديدا , هى أن معركة أفغانستان كانت تفتقد بشده إلى... حسن البنا.
فالعمل هناك, أفتقد مثل تلك الشخصية التاريخية وقدرتها الدعوية والتنظيمية.
وفى فلسطين كان المتطوعون العرب العاملين خارج منطلق الجيش المصرى اكثر حرية فى الحركة والمبادرة, ولكن الاوضاع السياسية والعسكرية للدول العربية حدت كثيرا من تأثير هؤلاء المتطوعين, وساعد على ذلك افتكارهم الى التدريب الكافى والقيادات الكفؤة.

أفغانستان :
إفتقر المجاهدون الي التدريب الجيد, وبدأوا الحرب مع جهل تام بالتكتيك وأصول إستخدام الاسلحة الحديثه, ولم يفدهم التدريب الباكستانى كثيرا , لذا كان عليهم اكتساب مهارات تكتيكية عن طريق التجربة والخطأ فى ظل قيادات تجهل أمور الحرب ومازالت هى أيضا فى طور التجربة. لذا دفعوا ثمنها فادحا في الارواح.
جماعات محدودة جدا استفادت من اساليب التدريب الحديثه وحصلت على قيادات جيده كان أبرزها جماعة أحمد شاه مسعود فى بانشير التى قاتلت عن وعى جيد بأساليب حرب العصابات تحت قيادة شاب موهوب.
ومع نهايات الحرب كانت هناك مجموعات كثيرة ذات قدرات تكتيكية عالية.
أما المتطوعو العرب مروا بنفس الخطوات تقريبا , وقد ظل قليل منهم حتى نهاية الحرب اكثر بدائية وجهلا من الافغان البدائيون -- ولكن مع ظهور حالة الاهتمام بالتدريب قفز بعض المتطوعون العرب الى درجات غير عادية فى فن التكتيك كما ارتفع المستوى العام للمتطوعين.
وما أن انتهى الحرب حتى كان لدى العرب المئات من المدربين العسكريين الممتازين وعدد من القادة الميدانيين الرائعين, والاخطر من ذلك كله هو أن عدد من التنظيمات كونت ما يشبه أوعية للخبرة العسكرية المتمثله فى

مدربين أكفاء ومناهج تدريبيه راقيه, وأبرز هؤلاء كانت تنظيمات "القاعدة" والجهاد والجماعة الاسلامية من مصر وعدد من تنظمات الشمال الافريقى الى جانب الكثيرين فى باكستان وبنجلادش والهند... إلخ.
طول مدة الحرب الأفغانية لسنوات طويلة مع ساحة جغرافية واسعة جعلت كم الخبرات العكسرية عند المتطوعين العرب هائلا ولا يمكن مقارنته بحاله المتطوعين العرب فى فلسطين التى لم تستمر الحرب فيها سوى أيام معدودة لاتزيد عن شهرين, كما أن اعداد المتطوعين تفاوتت فى الحالتين, المصادر الامريكية تقدر المتطوعين العرب فى فلسطين بما يترواح بين 3000 الى 3500 متطوع, أما فى أفغانستان فالارجح أن العدد قد يصل الى 50.000 متطوع من البلاد العربية وحدها.
واضعاف ذلك من باكستان, وبنجلادش, وغيرها. والعدد المذكور هو اللذين وفدوا الى الجهاد طوال سنوات اشتعاله, ولم يكن هناك عدد ثات من المتطوعين طوال الوقت.
وبالطبع فإن الخبرات العسكرية كانت محصورة فى الفئة التى مكثت هناك فترات طويله فى الجبهات.
طوال فترة الجهاد فى أفغانستان, أتاحت الفرصه لعدد اكبر من المتطوعين العرب, ومن البلاد الاسلامية الاخرى (وهو مالم يتحقق فى فلسطين), كما لذا يمكن القول ان التجربه الجهادية فى أفغانستان كانت أبعد أثرا فى الحركة الاسلامية من الجهاد فى فلسطين.

رابعا : الظروف المحيطة استنفار المتطوعين

فلسطين:

الانظمام العربى وقتها كانت تعلم أن اليهود سوف ينجحون فى مسعاهم فى فلسطين, وأن لا طاقه لدولهم تبلك المعركة, فركبوا مركب التواطؤ والخيانة لارضاء القوى العظمى -- ولكن لخشيتهم من ردود فعل الشعب, كان عليهم أن يمتصوا تلك الغضبه المتوقعه, فسمحوا لحركة المتطوعين لتنفيس مشاعر الحماس الدينى فى الشعوب, وحتى إذا وقعت الهزيمة الحتمية تكون الشعوب شريكتهم فيها لا يلامون بالتقصير.
والقوى العظمى بدورها لم تمانع فى لك, لكون الهزيمة سوف تجمح حماس القوى الاسلامية وتحبط آمالهم لما سوف تراه فى ميدان المعركة من قوة اليهود وتفوقهم, فتميل مواقفهم بعد الهزيمة الى الاعتدال ولا يتسببون قلاقل داخليه قد تؤثر على مصالح اليهود والغرب.

أفغانستان :

بدأت تتشكل حركات جهادية فى الدول العربية, ساعدت الاوضاع السياسية والإجتماعية والاقتصادية على أنتشارها فى أوساط شباب الجامعات والخريجين المحيطين, وقليل من المثقفين الإسلاميين.
وانفجر الجهاد فى سوريا وتم احتوائه بصعوبه, وكانت مصر علي شفا الانفجار, ومع تصاعد المجهود الاسرائيلى الامريكى فى أدماج مؤسسات الدولتين, والعدوان علي مقدسات المسلمين وبلاد العرب, فكانت الاوضاع مرشحه لثورة إسلامية مسلحة خاصه في دول الطوق المحيط بإسرائيل.
فى البداية تسرب الشباب العربى الى أفغانستان باعداد محدودة, ثم تزايدت تدريجيا بتحريض الدكتور عبد الله عزام خاصه كتابه المشهور (أيات الرحمن فى جهاد الافغان), وبناء على موافقه الولايات المتحدة على ذلك التوجه تساهلت الدول العربية فى خروج الشباب صوب أفغانستان, حتى أن السعودية دفعت معونات عينية وتسهيلات للشباب من أراضيها.
وضاعف الاعلام الغربى من تأييد " للجهاد الأفغانى" وقاد خلفه الاعلام العربى والاسلامى.
ثم قفز معدل تدفق الشبا العربى الى افغانستان بشكل "دراماتكى" بعد معركة ا ى الشهيرة.
وهكذا نرى فى الحالتين -- فلسطين وأفغانستان -- نفس العوامل التى أدت الى ظهور وتدفق حركة التطوع وهى:

1- وجود حماس دينى للقضية.
2- موافقه الدول العظمى (أمريكا وإسرائيل) على أن ذلك التوجه لن يضر مصالحها بل قد يفيدها.
3- القوى العظمى أعطت الأنظمه الضوء الأخضر للسماح بحركة التطوع, فأرخت الحكومات الزمام للمتطوعين.

بقى أن نذكر عامل هام هو أنه قبل السماح للمتطوعين, تأكدت القوى العظمى (أمريكا وإسرائيل) بقدرتها المباشرة أو عن طريق الحكومات المرتده, على قمع حركة المتطوعين وقمعها ولحو آثارها حتى كأن شيئا لم يكن.

خامسا : مخطط تصفيه المتطوعين المجاهدين

وهى الخاتمه (الطبيعية) لظاهرة جهادية تتم فى مثل تلك الظروف. فهى منذ إنطلاقتها الاولى واقعه تحت المراقبه والسيطرة الكافرة, بل وتسير وفق المسارات التى حدرتها تلك القوى, التى تبادر الى القضاء على "المجاهدين المتطوعين" بعد أن ترى أن مصالحها قد تحققت, وقبل أن تتحقق أية مصالح إسلامية على أيدى هؤلاء المجاهدين.

مخطط التصفية كان واحدا فى جوهرة, والتغييرات الطفيفه التى حدثت هى لفارق الظروف فى الحالتين.

والمعالم الثابته لمخطط التصفية هى كالتالى:

تشويه سمعه المجاهدين -- إعتقالهم بعد الحرب -- قتل الزعامات -- مطارده الناجين ولننظر كيف تم تلك الخطوات على أرض الواقع, فى الحالتين.

فلسطين:

1- تم سحب السلاح من وحدات المجاهدين الملحقه بقوات الجيش المصرى وذلك بعد وقت قصير من توقف القتال.

2- تم وضع المجاهدين فى معتقلات ميناء, حتى لا يعودا الى الاراضى المصرية فتنتشر منهم فيروسات الجهاد المعدية.

3- بدأت حملة تشويه حكومية ترمى تنظيم الاخوان المسلمين بالارهاب واغتيال شخصيات سياسية لنشر الفوض فى البلاد, واتهامهم بالاتجار بالدين واستخدامه لاغراض سياسية.

4- اعتقال تنظيم الاخوان المسلمين ووضع أفراده فى المعتقلات.

5- إغتيال زعيم الاخوان ومؤسس التنظيم الشيخ حسن البنا وهو وحيد شوارع القاهرة.

6- المجاهدين اللذين نجوا من تلك الحملة تابعتهم حكومة "الثورة" بعد ذلك وقتلت الكثيرين فهم, وفر قليلون ممن بقوا الى الاردن وبلاد الخليج.

أفغانستان:

1- بدأت الحرب الإعلامية أولا , فى اعقاب اتمام الانسحاب السوفيتى وأهداف تلك الحملة فى الاساس هى:

أ- أن الجهاد قد أنتهى مع إتمام الانسحاب السوفيتى, وأن الحرب الحالي هى حرب أهلية يجب إيقافها والوصول الى حل سياسى يضمن مشارك جميع الاطراف في السلطة.

ب -- إتهام المجاهدين العرب بالتطرف والارهاب والوهابية والحرص على قتل الشعب الافغانى, وأخذ سبايا من الافغانيات... إلخ.

وهدف الحملة هو فهم عربى التحالف بين المجاهدين العرب وحلفائهم الافغان, مع تشويه صور المجاهدين العرب فى أعين الشعوب العربيه ودول العالم.

2-- تم إفتعال حادث الطائرة السعودية لتبرير عمليات الاعتقال المجاهدين, لتفريغ الساحة قبل زعيم الحركة ومحورها أى الدكتور عبد الله عزام.

ولكن حادث الطائرة لم يؤدى المطلوب -- ربما لقله خبرة أجهزة الامن الباكستانية فى مثل هذا النوع من الاعمال.

3- إغتيال زعيم ومحرك عملية التطوع وهو الدكتور عبد الله عزام, ولكن فى وسط حرسه ومؤيديه من أن يتحرك هؤلاء للتصدى للمؤامرة أو الانتقام لزعيمهم لاذوا بالفرار من بشاور خوفا من الاعتقال.(!!)

-- 4 عملية طرد واعتقال ومطاردة المجاهدين تأخرت حتى أبريل 1993, نتيجه الظروف الخاصة جدا المحيطة بمسرح المؤامرة, مثل ضخامة عدد المتطوعين العرب, وقدرتهم فى وسط المجاهدين الافغان وعدم تأثر مكانتهم بالحملاية العلامية الغربية التى أدت إلى عكس المطلوب منها بين الافغان.

-قادت أمريكا وحركت حملته عالميه لم يسبق لها مثيل فى التاريخ لمطاردة وتشويه وقتل واعتقال المجاهدين العرب فى أفغانستان.
والذين قد أطلق عليهم لقب"الافغان العرب" الذى حملوه كل معانى التحقير والاتهام.
وسوف نرى كيف أن التدخل الامريكى كان مباشرا فى حملة تصفيه التواجد العربى الجهادى فى بشاور وباكستان وأفغانستان.
فشارك فى الحملة أعضاء السفارة الامريكية فى إسلام آباد والقنصلية الأمريكية فى بشاور.
وفرق كامله من رجال ونساء المباحث الفيدرالية الامريكية, مع قوات أمريكية من المارينز رابضت قرب بشاور للتدخل عند الضرورة.
وقد شاركت المخابرات المصرية بضرورة فى تلك الحملة, يدا بيد مع المخابرات السعودية والباكستان, أما المخارات الاسرائيلية فقد كانت متواجده طوال الوقت وبقوة ولكن بعيدا عن الأضواء.
بل كانت إسرائيل هى أول من طالب بضرب التواجد الجهادى العربى فى أفغانستان منذ وقت مبكر.
(ومازال فى المجال متسع لمزيد من البحث فى نواحى الترابط والتشابه والتفاعل بين القضيتين الاسلاميتين.
فى كل من فلسطين وأفغانستان, وعسى أن يقوم بذلك الواجب المزيد من الباحثين المسلمين.

هموم ليلة الاغتيال

كان ضغط الاحداث عنيفا على الدكتور عبد الله عزام, وبشهادة عدد ممن كانوا قريبين منه أنه كان فى أسوأ حالاته المعنوية, إلى درجة أنه لم يعد يعبأ التحذيرات الامنية المخيفة التى تزايدت وتيرتها عليه.
ولعله كان يفضل الموت عن تلك الحالة التى هى عليها, وذلك يغرى بالمجازفه بالقول بأن الرجل قد تعرض لاغتيال معنوى قبل اغتياله ماديا.
أحداث ذلك العام وحده كانت كفيله بالقضاء على الرجل معنويا ولنستعرض تلك الاحداث بالترتيب:
-إتشكيل حكومة روالبندى والتى تصدر فيها صبغة الله مجددى منصب رئيس الدولة, وسبب ذلك صدمه أوساط المجاهدين العرب والمتعاطفين فى الخارج, فمن ناحية سياسية كان مجددى طوال السنوات الماضية مصنفا على قائمة عملاء الغرب.

ومن ناحية فقهية وضعه التيار السلفى فى قائمة "المشركين"ونسبوا له كتابا يقول فيه بأن الله أو كل شئون الكون لأربعة أقطاب من الأولياء الصالحين, واعتبره اكثرهم كافرا.
الدكتور عزام واصل دفاعه عن الوضع الافغانى بما فيه تلك الحكومة المشئومة, وفى أحدى خطب الجمعه فى بشاور قال ما معناه " لايضيرنا شخصيات تلك الحكومة ما دام سياف... صمام الأمان... رئيسا للوزراء فى تلك الحكومة"
كان الشيخ متحمسا وقاطعا فى آرائه تلك, ولكن قليلون هم الذين أقتنعوا حقا بوجهه نظره تلك.
وقد تلقى انتقادات شخصية عنيفه من معظم أفراد وتجمعات الساحة الجهادية العربية.

2-الفشل العسكرى فى جلال آباد, كان ضربه ساحقه للشيخ الذى ساهمت كتاباته الملتهمة فى إجتذاب الآلاف والزج بهم أتون جلال آباد, حيث قضى العشرات منهم تحهم, وسط معركة فوضوية دامية.
وأضطر الشيخ الى تستطير عشرات المقالات والخطب غير الجلسات الخاصة كى يبرر ما حدث فى جلال آباد, وأن يجدله سندا فى القرآن والسنه (!!) وأحداث التاريخ الاسلامى.
فهو فى خطبه يذكر بحصار المسلمين لمدينه تستز فى بلاد فارس لمدة سنتين, وكان فيهم صاحبة وتابعينى ولم تسقط المدينه إلا بدعاء البراء بن مالك (نشره لهيب المعركة 17/6/89), والمشكلة كانت فى أن القادة الافغان الكبار قد اعلنوا صراحة انصرافهم عن محاولات فتح جلال آباد, والسؤال المنطقى عند اكثر الشباب العرب هو, لماذا أذن تركتمونا ندفع كل ذلك الثمن الباهظ من أرواح إخواننا؟
مرة أخرى كان الشيخ عاطفيا وحماسيا ... ولكنه لم يكن مقنعا للكثيرين.

3-إفتضاح أمر المساعدات الامريكية للمجاهدين, بعد تعيين "بيتر توسون" سفيرا للولايات المتحدة لدى منظمات المجاهدين (!!), فى خطوة دبلوماسية غير مسبوقه كانت فى حقيقتها فضيحة كامله واحراجا لتيار الدكتور عبد الله عزام, وزاد الطين بله أن زعماء الاصولية فى قادة المنظمات, وفى مقدمتهم حكمتيار, قد أتهموا أمريكا بخيانه الجهاد بقطع معونات الاسلحة عن المجاهدين.
إذن كان هناك معونات وأسلحة أمريكية ?? وهكذا تساءل الكثيروين العرب فى بشاور وقد أخذتهم الدهشه كل مأخذ, فيرد الدكتور عبد الله على المندهشين فى أحدى خطبه التى نشرتها "لهيب المعركة" فى شهر يوليو فيقول:
أما بالنسبه أخذ المساعدات فقد إتفق الفقهاء الاربعة على جواز أخذ المساعدة عند الضرورة من الكفار على أن لايكون هناك شروط, وقد سئل أحمد بن حنبل عن رجل جائع إمتنع عن اكل ميته حتى مات, فقال أحمد: إنه مات آثما.
وإن كان الشيخ قد نسى فإن كثيرون ضمن يستمعون اليه مازالوا يتذكرون دفاعه المستميت بأن المجاهدون لا يتلقون مساعدات امريكية وحتى صواريخ ستينجر فإنها يدفعون ثمنها لأمريكا.(!!)
وأتهامه لمن يقولو بأستلام المجاهدين لمساعدات امريكية بشتمه التهم الثقيل من التآمر الى الإرجاف الى معاداة الجهاد والمجاهدين... إلخ.
ثم يستأنف الشيخ خطبته قائلا : هناك قضايا لم يساوم عليها الافغان خاصة الاصوليين (الملتزمون بالقرآن والسنه -- وهى اللافته يجب أن تكون اسلامية, الراية يجب أن تكون واضحة, الهدف واضح لاتقاعس عنه, وهو لتكون كلمه الله هى العليا, الحكومة يجب أن تكون اسلامية, ليس إئتلافيه ولا محايدة ولن يدخلها شيوعى.
رفضوا قبول المساعدات من أمريكا وقالوا: نحن نقبل مساعدات من باكستان والسعودية والشعوب الاسلامية أما أمريكا فلا..
ثم يستدير الشيخ فى الحال لتوجيه الطعنه النجلاء الى منتقدية من الشباب فيقول فى الجملة التالية:
أما بالنسبه للشباب فنقول لهم إنما دواء القى السؤال "فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" إنما الأمر كما قال سيدنا على -- رضى الله عنه -- (قصم ظهرى رجلا: عالم فاجر وعابد جاهل.(
فكثير من هؤلاء الشباب عابد جاهل, وإنما فسد الدين أنصاف المتعلمين فلا هم جهلة حتى يسألوا ولاهم علماء حتى يفقهوا ويدركوا.
وهكذا فبينما الشيخ يناقض نفسه, وينسخ اليوم ما قاله فى الامس ويتبنى اليوم ما هاجمه سابقا . ويدافع دوما عن قيادات "أصولية" كما يصفها... بينما هى عديمة الاصل, وهى ليست سوى أدوات اللعبة الدولية فى أفغانستان,

ولكن العمر لم يمتد بالشيخ حتى يرى ويشاهد هذه الحقيقه بعينه, ولا شك أن ذلك كان من لطف الله به, فلا يرى أحالمه تنهار بكل تلك البشاعة والقسوة, فلم يشاهد ما حدث فى كابول فى أعقاب فتحها, أو أحوال تلك الحكومات التى أنشأها الأصوليين, وكيف أن صواريخ الاصولى حكمتيار تدك الاهالى فى كابل والقصر الجمهورى الى يحكم منه الاصولى برهان الدين ربانى وساعدة الايمن ومخططه السياسي عبد الرسول سياف.
رغم باشعة حادث الاغتيال, إلا أنه كان رحمه بالشيخ لم يدركها الجميع وقت حوث الكارثه.

-3ضراوة الحملة السلفية ضد الشيخ عبد الله عزام.
وقد تشعب ذلك التيار فى بشاور الى درجه عجيبه وكان ذو شقين, الاول حكومى سعودى يدار بواسطة الاستخبارات السعودية, وله مراكز قوية فى التنظيم السلفى الافغانى الذى يقوده جميل الرحمن القائد القوى فى محافظة كونار الحدودية, وكذلك بؤرة فى الهلال الأحمر السعودى والكثير من الهيئات السعودية والافغاني الاخرى.
الشق الثانى: هو التيار السلفى (الجهادى الشعبى) والذى يكفر الحكومة السعودية ومن والاها.
ومركزه الاساسى كان فى الهلال الأحمر الكويتى, ومدعوم ماليا من التنظيم السلفى فى الكويت.
وهناك التنظيمات الجهادية السلفية فى العالم العربى, مثل تنظيم الجهاد المصرى, و"القاعدة" لأسامة بن لادن.
وبعض التجمعات من شباب شمال أفريقيا -- وغيرها.
وقد وجهت تلك التيارات انتقادات شرعية عنيفه للشيخ عبد الله والمجاهدين الافغان, وقيادات الاحزاب كلها (أصولية أو معتدلة.(
وانتقدوا معتقدات مجددى, وانتقدوا اشراك الاحزاب الشيعية فى مؤتمر روالبندى -- الذى أدى الى تشكيل الحكومة, بغض النظر ان الشيعة لم يصوتوا فى المؤتمر بل قاطعوه قبل الانتخاب.
وقد ظهر فى بشاور مشور من 13 صفحة من القطيع الكبير يحمل وجهات نظر ذلك التيار إزاء الدكتور عزام.
وابرز ماندى به ذلك التيار -- وعادوا لاجله الدكتور عزام -- هو ضرورة إظهار العداء العلنى -- وبلا هوادة -- ضد الصوفة التى يدين بها الافغان قيادة شعبا -- وكذلك ضد الشيعة سواء كانوا فى أفغانستان أو إيران بدون اعتبار لأى مبررات سياسية مما كانت.
فى نفس خطبته السابقه يقول الشيخ عزام, ردا على ذلك التيار:
وأما البراء والولاء فليت شعرى لو فهم الأخوة التطبيق العملى لهذه العقيده, وكأنهم يجهلون أو يتناسون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أصحابه الى الحبشه معلا ذلك فيها ملكا نصرانيا لا يظلم الناس عنده وثبت فى الحديث الحسن أن النجاش قد خرج عليه رجل آخر يقاتله فقام المسلمون يدعو للنجاش بالنصر, وأرسلوا الزبير ليرى نتيجه المعركة فرجع يلوح بثوبه مؤذنا بانتصار النجاش, وقد جاء فى رواية أن الزبير قاتل مع النجاش.
ولعل هؤلاء الشباب الذين لا يشك فى أخلاص الكثيرين منهم يجهلون أن كثيرا من الصحابة قد دخلوا فى جوار الكفار فى مكه. ...
أصبح ذلك التيار قويا للغاية منذ ذلك العام (1989) وأصبح مجلة عربية بالألوان ويجتذب الشباب السعودى ويحظى بتأييد علماء الدولة هناك, وأنشأ بيوتا للضيافة خاصة به فى بشاور, وارسل شبابه الى جبهات كونار عند جميل الرحمن القائد الأفغانى السلفى.
وكانت المدفعيه الشرعية عند ذلك التيار قويه ومؤثرة وأثارت الكثير من البلبه والتشويش فى أوساط الشباب العربى في بشاور وحتى فى الدول العربية, من أمثال ذلك القصف الفقهى:
--إثارة الشكوك حول الجهاد فى أفغانستان بإعتبار ذلك الشعب مشركا وكان يقاتل ضد الكفار (الروس.(
--أن تصحيح العقائد ينبغى أن يسبق الجهاد, فلا يجوز القتال مع الافغان قبل اصلاح عقائدهم, وإلا فإنه يبغى القتال ضدهم حتى يعودوا الى التوجيد الصحيح.
--الشيعة والقبوريون أولى بأن تقاتل ضدهم (القبوريون هم الأحناف من أهل أفغانستان, والشيعة هم الشيعه من أهل البلاد ومعنى المقوله أنه من الأولى أن تقاتل الشعب الأفغاني عن بكرة أبيه, من نتائج تلك الحملة أن تضررت كمية التبرعات المالية القادمة من السعودية, التى تأتى منها الكمية الاكبر من أموال المتبرعين فضاعف الشيخ عزام من حده معركته لجميع التبرعات حتى صارت قريبه من الابتذال.

-4مجزرة فى خار, كانت هى الاخرى لطمه قاسية للدكتور عزام من حيث التوقيت, ومن حيث الضجة غير العادية التى رافقتها.
كان الدكتور عزام وقتها مرافقا للزعيم حكمتيار في جولة فى شمال كابل العاصمة, ومن هناك يرسل المقالات مبشرا بهجوم شامل لفتح كابل, ومعترفا بهدؤ أن العمل على جلال آباد كان خطأ.
وبينما هو كذلك محاولا رفع معنويات أنصار الجهاد من العرب, إذا وقعت الصاعقه, حيث هاجم رجال حكمتيار قافله من رجال مسعود وقتلوا عددا من القادة وأسروا الباقين, كعادته حاول الشيخ التكتم على الأمر لولا أن الاعلام الدولى بالغ فى الحديث عن "المجزرة", فقطع الشيخ عزام رحلته وعاد الى بشاور, كى يجد لما حدث فى فرخار أسانيد ومبررات فى التاريخ الاسلامى, وكيف أن الصحابه قد قاتلوا بعضهم بعضا , ولما كانت التبريرات المتوالية مصائب تتابعت, وبدون تمهيد مسبق لمثل ذلك التحول, فإن معنويات الكثيرون ممن أنخرطوا فى جهاد أفغانستان, أو ساندوه بالمال فى الخارج قد تضررت, وبدأت حالة من التراجع.
لقد تزايد عدد من فقدوا ثقتهم فى كلام الشيخ, وإتهمه البعض علنا , وجها لوجه, أنه خدعهم وبالغ كثيرا فى حقيقه الافغان.
لم تفد محاولات الشيخ فى تغطية أخطاء الافغان, بما فى أن الشيخ قد تأخر كثيرا فى كشف الحقائق أمام جمهورة من المسلمين, الذين صدمتهم ظهور حقائق, لم تكن جديدة فى واقع الأمر ولكن الشيخ أخفاها عنهم حتى لا يصدهم عن طريق الجهاد, وكانت النتيجة أنهم بدأو يتخلو عن الجهاد فى أحرج أوقاته, ورفعوا أيديهم عندما رفعت أمريكا أيديها عن مساعدة المجاهدين, وأن كانت أسبابهم مختلفه.

-5صدرت فتاوى من علماء السعودية أن ما يجرى فى أفغانستان أنما هو حرب أهلية, ونقل تلك الفتاوى الى بشاور والى داخل الجبهات "طلاب العلم" من تلامذه هؤلاء العلماء, فاضطربت صفوف العرب. وزاد العبء على كاهل الشيخ عبد الله عزام الذى كان يرى خطورة ما يحدث, وأن المسلمون قد ينقضون عن ذلك الجهاد فى أخطر مراحله, وأن أمريكا تقف خلف كل ما يحدث بهدف فرض وضع سياسى معين على أفغانستان.
وتصدى الرجل ببسالة لتلك المحاولات من خلال مجله الجهاد ونشرة لهيب المعركة, وخطب الجمعة فى مسجد "سبع الليل" فى بشاور وضلل كذلك حتى اغتالوه وهو فى طريقه الى مسجده لصلاة الجمعه.
لقد قتلوه وهو فى وسط ساحة معركته الحقيقية.

-5هجوم الاخوان المسلمين على الدكتور عزام -- خاصة اخوان الاردن -- الذين خذروه من التدخل فى قضيه فلسطين, وحركة حماس حذروه من التدخل فى قضية فلسطين, وحركة حماس حذرته أنها ضد "الإسلوب الافغانى" ولا تؤيد رفع السلاح فى فلسطين, حتى هددهم هو بدورة أنه قد يسحب علن تأبيده لحركة حماس.
(أما الاخوان الدوليون -- وقيادتهم فى القاهرة -- فقد أنشأوا مؤخرا مركزا إعلاميا فى إسلام آباد -- بالتعاون مع الجماعة الاسلامية الباكستانية -- وبدأوا فى تغطية إعلامية -- علميه عقلانية -- لأحداث أفغانستان بما كان يحوى أتهاما مبطنا ومنافسه ظاهرة, لما يقوم به الدكتور عزام الذى كان فى نظر المسلمين الناطق الدولى باسم الجهاد فى أفغاستان والمحرض الاساسى للمسلمين لدعم ذلك الجهاد.
كان الإعلام الاخوانى الجديد خاليا من التحريض, ويحمل إتهاما مبطنا للتيار الجهاد العربى والقائمين عليه, بأنهم غير عقلاء أو موضوعيين.

--6تهديد منظمة التحرير الفلسطينية للدكتور عزام بأنهم لن يتهاونوا معه إن هو حرض على إستخدام السلاح داخل فلسطين المحتله.
وكان كلامهم معه حادا وخاليا من اللياقه مليئة بالتهديد والوعيد.

--7فقدان تميم العدانانى مساعدة وذراعة الايمن كان عبئا إضافيا فى وقت ناءت فيه نفسه بالاعباء, وتألبت عليه فيها الظروف والأحوال.
وبدأ المد الذى استمر سنوات فى انحسار. وباتت الاحلام كلها على شفا جرف هار.

وهكذا كان الدكتور عبد الله عزام ليله استشهاده... وفى ظنى أنه ما كان ليتردد فى الذهاب الى مسجده فى ذلك اليوم حتى لو رأى بعينه تلك العبوة الناسفه فى منعطف الطريق.

(----------)

كما ذكرنا فإن عملية أغتيال الدكتور عزام تمت بطلب إسرائيل مؤكد.

ومشاركة استخبارية من منظمة التحرير الفلسطينية التى زرعت رجالها حول الدكتور عزام وتولوا أمنه الشخص, وحفر الطريق فوق قناة المياة الصغيرة وزرع المتفجرات, ثم تفجير الشحنه وقت عبور سيارة الدكتور عزام وولديه مع تصوير كل ذلك بالفيديو هو عمل اشراف عليه "نصير الله بابر" مع رجال تنظيم ذو الفقار الذراع العسكرى لحزب الشعب الذى تراءسه "بى نظير بوتو" رئيس الوزراء فى باكستان آنذاك.

وكما ذكرنا لم تبدأ حمله إعتقالات كما كانت تقتضى الخطة, ورغم القوائم التى قمتها السعودية للناشطين من المجاهدين العرب.

ومع ذلك بدلا من أن تظهر رده فعل من أنصار الدكتور عزام فروا هم أيضا مع من فر من العرب الى مدن باكستانية غير بشاور.

وعندما التقطوا انفاسهم عادوا الى أعمالهم الاغتيالية ولم يفكروا فيما توقعته منهم أمريكا وغيرهاوهو أن يتحركوا للانتقام من قتله شيخهم, وكان عجيبا ألا يحدث مثل ذلك الانتقام حتى وقت كتابة هذه السطور (22/9/97), رغم أن أمريكا ظلت تتوقع رده الفعل شهرا بعد آخر.

(وبعد أقل من شهر وقرب اعباء الميلاد النصرانية صدر قانون أمريكى يتيح لقوات جيشها أن تعمل كقوات شرطه دولية لمطاردة أعداء أمريكا من أرهابيين وتجار مخدرات, وفى نفس الوقت "أعلت دول أوروبا الغربية حالة التأهب لمواجهه هجمات أرهابية كانت الولايات المتحدة قد حذرت من وقوعها على يد شرق أوسطيين فى فترة اعياد الميلاد المقبلة (جريده الخليج 17/12/89), وقال نفس النبأ ؛أجازت الولايات المتحدة قرارا يسمح لقواتها المسلحة العمل كبوليس دولى والقيام اعتقالات تسهل الارهابين الدوليين وتجار المخدرات والمطلوبين الآخرين فى الدول الاخرى, وبدون الحصول على موافقتها (أى موافقه تلك الدول. (

؛... ويذكر أن هذا هو ثانى قرار تتخذه الولايات المتحدة لتوسيع سلطاتها خارج أراضيها, فوزارة العدل ذاتها سبق أن أفتت فى 21 يونيو الماضى بحق مكتب التحقيقات الفيدرالى (FBI) وغيره من الوكالات الفيدرالية باعتقال الطلوبين خارج الولايات المتحدة بدون الحصول على موافقه الدول التى تتم فيها عمليات الاعتقال...«. هذا وقد علقت الجديدة على ذلك الخبر وبخط بارز تحت عنوان "لسعة" فقالت الارهاب الامريكى "المنظم" يدخل مرحله التقنين.

(لقد بدأت أمريكا تتصرف كقوة آحاوية تحكم العالم, وذلك فور إتمام الانسحاب السوفيتى من أفغانستان, وتأكدها أن الاتحاد السوفيتى يتآكل كل بسرعة وأنه لن يكون بعد الآن قوة منافسه -- أو مساعدة - على أقتسام العالم.

هذا صحيح, ولكنها بدأت أيضا تجهز نفسها لحرب ضد المجاهدين العرب فى أفغانستان, الذين توقعت ردود فعلهم العنيفه ضد اغتيال زعيمهم ورمز حركتهم عبد الله عزام, ورما أصابتهما الدهشه للسلبيه التى تميز بها العرب المجاهدين إزاء ذلك الاعتداء فشجعهما ذلك على المزيد... وقد كان.

(----------)

مذبحة فرخار

مازالت تلك المذبحة عملا غامضا حتى الآن, والاكثر غموضا هو إطلاق وصف مذبحة على ما حدث, ثم تلك الضجه الاعلامية الكبرى التى رافقتها.
وأحزاب بشاور خاصة الحزب (حزب إسلامى حكمتيار) والجمعية (المجمعية الاسلامية بقيادة ربانى) كلاهما بالغ فى ردود أفعالها وعقد المؤتمرات وحرك المظاهرات واطلق العنان للخطب النارية حتى شعر الناس أن حربا ستنشب بين التنظيمين, ولكن داخل باكستان.
كان الحاث أقل من المادى, مجرد كمين رتبه (سيد جمال) أحد قادة حكمتيار فى محافظة تاخار, فقتل خمسة من قيادات الجمعية وأسر 25 آخرون, وقع الحادث يوم الاثنين 17 يوليو 1989, وهو حدث روتينى خاصة فى شمال أفغانستان, التى تحول القتال فيها بين الحزب والجمعية أكثر ديمومة من قتال أحدهما ضد الدولة.
وأعتقد أن الاعلام الدولى, وظف الحادث بسرعة فى حملته النفسيه ضد المجاهدين, من أجل تحطيم صورتهم داخليا وخارجيا تمهيدا لعزلهم عن المستقبل السياسى للبلاد أو تهميش دورهم فيه على الاقل.
ولكن هل كان الحادث متعمدا , كما كانت معركة جلال آباد.؟
أى أن القوى الولية (أمريكا والسوفييت) أرادت حادثا من هذا النوع, للحصول على تشويه من نوع آخر لصورة المجاهدين, وكانت معركة جلال آباد, وحملة القطاع الغربى لم تكن تهدأ اشتباكاتها الاخيرة, وقد قامت تلك المعركة الدور المطلوب منها على أكمل وجة, والمطلوب أن تستمر الحرب النفسيه بدون أعطاء مهله لإلتقاط الانفاس.
ردود الفعل المبالغ فيها لكل من مسعود وربانى, وعلى عكس ما حدث فى مجازر أخرى أخطر وأوسع مدى يشير الى إحتمال وجود تواطؤ على مستوى عالى لافتعال الأزمة واستغلال آثارها لخدمة المخطط الخارجى.
قبل الحادث باسبوعين تقريبا تحرك حكمتيار -- وزير الخارجية فى حكومة المجاهدين -- تحرك فى داخل أفغانستان, وبرفقته الدكتور عبد الله عزام, وتركزت الجولة حول كابول, خاصة محافظتى بروا وكابيسا الى الشمال من العاصمة.
فى مناطق تاخار وقندز وبادخشان, واستدعى بعضهم من بشاور واستمرت الاجتماعات خمسة أيام متواصلة.
وهؤلاء الذين انصرفوا من الاجتماع فى طريقهم الى "طلقان" عاصمة محافظة تاخار فإن مسعود هو الذى رشح لهم الطريق المار من منطقه القائد (سيد جمال) على أنه طريق آمن يمكنهم المرور منه -- رغم أن سيد جمال من حزب إسلامى ولديه ثارات عائلية لدى بعض هؤلاء المارين من أرضه -- والاغرب من ذلك هو ما أفاد به

بعض الخبراء بالوضع الافغانى من أن سيد جمال كان صديقا لمسعود -- أى أنه كان أحد عيونه داخل حزب أسلامى حكمتيار -- يقول ذلك المصدر, وهو أفغانى أيضا , أن سيد جمال أخذ الضوء الأخضر من مسعود لارتكاب المذبحة لأن الضحايا كانوا على خلاف معه بسبب اعتراضهم على ما فعله مسعود من الاستيلاء على كل المعونات القادمة الى المحافظة بواسطة هيئات الاغاثه وتوزيعها بعد ذلك حسب درجه الولاء له.
كان جزاء سيد جمال أن مسعود قاد الحملة الدعائية ضده حتى تحرك أهل المنطقة واعتقلوة ثم حاكموه أمام محكمة شرعية مكونه من 45 شخصية دينية جاءوا من عده محافظات, وصدر الحكم بإعدام سيد جمال, وخمسة من مساعديه شنقا حتى الموت.
قال نفس المصدر أن مسعود كان قد استنفذ اغراضه من سيد جمال ولم يعد فى حاجه الى خدماته مختلص منه بتلك الطريقه.!!
)))

ولنقرأ الآن ما قاله الدكتور عبد الله عزام عندما تلقى ذلك النبأ وهو فى رحلته مع حكمتيار فيقول فى مقاله الافتتاحى فى نشرة لهيب المعركة (5/8/89).
الامل المرتقب: وفى الوقت الذى كنا نغذ فيه السير ونحث الخطى نحو بروان وبعد أن دخلينا بروان وفى مركزها (ارى كاد) حيث أرتفع الأمل بقرب سقوط الدولة اذا كنا فى خنادق تبعد مائتى متر فقط عن مركز الولاية التى سقطت فرقها بيد المجاهدين, وكنا نهفو أن يلتقى العملاقان (حكمتيار, وأحمد شاه مسعود) لعل شجرة الخلاف تجتث من جذورها وقطع دابر الفتنه من أصولها.
وبعد أن سطرنا بنود الطرح الذى طرحه المهندس حكمتيار كاقتراحات لإزالة خلافات بين الاخوة والتى عملت الدولة بعملائها طويلا حتى أصلتها وبدت أنها مستحيله الحل فى نظر بعض الناظرين.
فى هذا الوقت الذى كان نطمع أن أنسب وقت لافتتاح المطار بجرام وسد الطريق الوحيد الذى يمثل شريان الحياه لكابل وللحكومة العميلة (خط حيرتان -- سالنج -- كابل) فى هذا الوقت وقع فى روعنا أنه يوم الصفاء والمودة بين أوس أفغانستان وخزرجها قد أقترب, وآن آوان قطف ثمار الجهاد جنيه دانية قد آن لتقطف بيد سعديها ومهاجريها من نسل الصديق والفاروق وذى النورين وحيدرة الفرسان.
فى هذا الوقت الذى كان نفكر فيه بأقصر طريق للإرسال وراء مسعود للقيام للسلام على أخيه القائد حكمتيار, وكنت أفكر أيهما أنجع وأقصر هل أذهب بنفسى, أم أتصل باللاسكلى أم نرسل عبد الله أنس ضرورة قدوم مسعود لطرح المشاكل التى طغت على سطح بحر الدماء المزبد, ولازالة الغثاء الذى عكر صفو البحر الرائق واللغوص لأخراج كنز الدقائق.
فى هذا الوقت وإذا بخبر يتنزل على قلوبا كالصاعقه.
النبأ المزلزل : بعد الغداء تحت أشجار التوت والمشمش فى قرب قرية رباط من مركز بروان انتحيت جانبا بحكمتيارر نتشاور فى أفضل الطرق الممهدة للقاء والموطئة لأزالة الخلاف وأذا به يخبرنى:
أن BBC أذاعت إن أغا وليد قد عمل كمينا لقادة مسعود أثناء عودتهم من مجلس شورى نظار وقتل حوالى ثلاثين شخصا ومنهم أربعة كبار.
فما تلقيت خبرا منذ سنوات أثقل على قلبى وأفجع لنفسى من هذا النبأ, إنها بداية قد تأكل نارها الأخضر واليابس.
وهنا صممت أن ارد النهر نفسى وأشرب الماء بحفناتى, فأستأذنت من حكمتيار أن اتركه وأيمم شطر الشمال لعلى أقف بنفس على حقيقه هذا الحادث المروع ونحاول ما استطعنا أن نوقف نذر الشر المستطير, وأن نطفى ما قضاه الله ويسره على أيدينا من لهب النار الكبير الذى يبدوا منه شرر المنذر وها أنا أعد حقائبى وأجهز نفسى للمسير نحو مسعود, وقادة الشمال من الحزب والجمعية.
وقد كتبت هذا المقال من مصنع النسيج فى جلبهار قبل التوجه الى الشمال ويخامر رأسى الضنون من وراء الحادث.؟!
أهى الدولة التى بدت تترنح لتهوى تحت مطارق المجاهدين؟
أم هى فعله أحمق لايدرى النتائج ولا يقدر العواقب على كل المسلمين؟
أم هى تنفيس أحقاد عن صدر ضيق يثأر فيه لضغن عميق دفين؟
ولا أدرى أنحن على أبواب أعاصير تعصف الآمال التى تترقبها الأجيال؟

أم تكون بداية للقاء بين الأخوة يتجاوزون فيها آلامهم ليطيحوا بنجيب الدجال؟
إن هذا غيب يعلمه ؛ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.»
يقول الدكتور عزام عن أثر النبأ على حكمتيار فيقول (وقد نظرت الى وجه حكمتيار وقد إمتقع بالسواد تأثرا بالحادث المروع الأليم الذى ا قترف) ولما وصل الى مسعود فى محاولة لتطريق الحادث وصف حالته قائلا (وأخيرا وصلت الى مسعود فى ورسج/ فرخار فوجدته يكاد يقضى أسى ويعتصر ألما , وصلت إليه بعد اسبوع كامل من تسلق جبال تكسو قممها الثلوج... إلخ.(
-مجله الجهاد العدد 59 سبتمر 89 -- وكعادته دوما يذكر الشيخ ما يعوه الى راحة النفس والثقه فى العنصر. ثم يجدد مبررا لما حدث من أحداث مؤسفه ما يناظرها فى التاريخ الاسلامى القديم -- سواء كان هناك وجه شبه أو لم يكن -- فيقول فى باب "الراحه النفسيه": ورغم الطعه النجلاء التى وجهت الى صميم الفؤاد وفى هذه المرحلة العصبية, إلا أننى عدت مرتاح النفس هادئ البال مطمئن الضمير من داخل أفغانستان, فالوضع أفضل بكثير من بشاور ومن الصورة الشوهاء التى إرتسمت فى أذهان الناس فى هذه الآونه عن الجهاد, والاستعدادات لمواجهه نجيب كبيره.
ثم عرج الشيخ الى التاريخ وتكلم عن حادثتا بئر الرجيع وبئر معونه وغدر الاعراب بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومع ذلك لم يؤثر ذلك فى عزمه وتصميمه... الخ. ومازلت لا أفهم وجه الشبه بين مجرزة فرخار وبين "حادثتا بئر الرجيع وبئر معونه«. ولكن مشكله الدكتور عزام هو إجرارة الغربب على رفع شأن تلك الزعمات التى لم تعد فوق الشبهات بأى حال(.
ورحله الشيخ منذ البداية الى داخل افغانستان برفقه حكمتيار كانت أنجرافا حول ؛الرؤس الاستراتيجية« لذلك القائد الذى يراه الدكتور عزام "ملهما " بل ومنقذا للاسلام فى أفغانستان.
لقد فشلت تجربه جلال آباد فتعلق الدكتور بحلم كابول ولكى يكون ذلك "الحلم" مقبولا فقد نسبه الى القائد الملهم حكمتيار فنراه يقول فى مقال افتتاحى: (الجهاد العدد 58 -- أغسطس 89.(
وأنا أعلم أن حكمتيار متفائل دائما وقت جاءت الأيام تصدق كثيرا من آماله فكثيرا ما كان يدور النقاش بينى وبينه حول إنسحاب الروس, وقبل سنوات كان يقول لى: ليس أمام الروس أى طريق سوى الانسحاب أو أن يقتحم الجيش الهندى باكستان, والجيش الهندى دون أقتحامه خرط القتاد" فلم يبق أمام الروس سوى الهزيمة والخروج, وصدقت الأيام ظنه.
وقد بدأ حكمتيار بالمعركة مع إخوانه سنه 1975 ضد نظام داود وقد كانت كل المؤشرات تقطع بأن قال لا محالة خائب وأن معركته خاسرة, وما عمله إلا انثمار للحركه الاسلامية, ثم مرت الايام وصدق ظن حكمتيار, واتضح للإذهان بما لا يدع مجالا للشك أن لولا الله ثم قرار خوض المعركة ضد داود لأصبحت أفغانستان مع الايام قطعة من روسيا كبخارا وطشقند, ولكن رأيت حكمتيار قد تعجل فى تحديد فترة سقوط جلال آباد وقندهار, أما بالنسبه لكابل, فلقد أخذ حكمتيار قد يسرد على تفاصيل المعركة/ وذلك بينى وبينه/ مما جعلنى أطمئن أنه لا يعيش فى أوهام ولا يتحرك من فراغ ولا ينعم فى عالم الاحلام, وأنما ينطلق من قاعده صلبه, وضمن يديه أرقام وأسماء, ووقائع تجعله واثقا بفضل الله أن نهاية الشيوعية فى أفغانستان قريبه, ولكن علق الأمر على قدر الله أولا ثم على توفر الذخائر بشكل كاف, أما بالنسبه لى فقد بث فى حذر من التسرع فى تحديد مواعيد لسقوط المدن أو نهاية الطاغوت فى كابل بعد أن تعجلنا كثيرا فى إعلان سقوط جلال آباد التى كانت فى نظرنا لا تتعدى الاسابيع القليله ثم ظهر لنا فيما بعد أننا لم نكن محيطين بالصعوبات البالغة والعقبات الشائكة التى تكتنف فتح المدن.
لقد استفاد الدكتور ألا يحدد مواعيد لسقوط المدن, لكنه لم يتعلم الحذر من هؤلاء القادة "الأصولين", خاصة حكمتيار اكثرهم دموية والفتى المدلل للمخابرات الباكستانية فى كل العصور.
ولو امتد العمر الدكتور عزام لعله أن كابل وقواتها الموهومة لم تكن سوى خدعه أخرى دس تها الاستخبارات الاكستانية واسيادها, الامريكان, لجذب ما تبقى من طاقه إسلامية فى الجهاد, بشريه كانت أو مالية أو نفسيه, جذبها الى طريق خاطئ جديد, بعد إنتهاء أكذوبة جلال آباد -- رغم أنها ظلت تجذب كثير من شباب العرب الى مصيره الموت التى يسقطون فيها كما يسقط الفراش من لهيب النار.

وبناء على دعاية الشيخ لمعركة جلال آباد, ومساعده عيون العرب له فى تلك الحملة خاصة أسامة بن لادن ووائل جليدان (أبو الحسن المدنى) وغيرها ممن حولهم من شباب وكوادر اصبحت ذات سمعة ووزن فى مجال العمل الاسلامى الجهادى العلنى.
تسربت من ذلك الوسط اخبار تقول أنه قد تم جميع مبلغ 65 مليون دولار لمعركة كابول. ثم جمعها من "المحسنين" فى منطقة الخليج والسعودية, والطريف أنهم لم سمعوا أن مشكله جلال آباد حدثت بسبب عدهم وجود قوات نظامية لدى المجاهدين, فلا بد إذن من توفير تلك القوات للمجاهدين فى معركتهم القادمه -- الحاسمة -- فى كابل, كانت الفكرة رائعة, والتنفيذ كان أكثر عبقرية, فمن أجل تكوين تلك القوات قرروا شراء ملابس عسكرية كاملة وراقيه -- من أسواق شرق آسيا -- وتوزيعها على المجاهدين حول كابل... وهكذا المشكله.!!!!
فكان المجاهد عندما يرتدى الذى العسكرى سوف يتحول فى الحال الى جندى نظامى مهيأ لخوض حرب تقليديه.
الأغرب أن قادة أحزاب بشاور وافقوا على الفكرة العبقرية وسجل كل منهم عدد جنوده المربطين حول كابل.
والقادة هم الاصوليو طبعا واكثرهم تواضعا قال أنه له 30.000 مجاهد حول كابل؟
مشروع فتح كابل هو الآخر أحد عجائب الحرب الأفغانية, وسرعان ما ظهر له منظرون على صفحات, مجلات بشاور العربية, فقلدوا أسلوب الكتابات المتخصصه وزوروه بإتقان حتى لنظن أن أقلهم شأنا لا يقل عن مرتبه الجنرال "مونتجمرى", فظهرته فى تلك المجلات مقالات بعناوين رنانه مثل أهمية أسقاط كابول فى اسقاط النظام ,كابل ساحة الحسم المباشر... إلخ وضهرت فى تلك المجلات دعوات تبرع فى بطاقات أنيقه تحت إسم (مشروع فتح كابل والمدن الاخرى) وقد كتبت عبارة "فتح كابل" الخط الكبير و"المدن الاخرى" الخط الصغير.
وعن أحد بنود تلك التبرعات يقول الدكتور فى أحد مقالاته (الجهاد العدد 58) وهناك قضايا أخرى كانت الترتيات والاتصالات الدائبة تعمل عليها منذ عدة أشهر وعلى رأسها التنسيق مع القادة والأمراء بشأن المواد الغذائية وتوفيرها للمعركة, وقد كانت التقديرات الأولية أن معركة الصيف تحتاج سته آلاف طن من المواد الغذائية, وتوفير الغذاء ونقله الى الخطوط الامامية كان يشغلنا ويجهد علينا أفكارنا, ولعل الله أطلع على قلوب بعضنا فعلم صدق النيات وأخلاص الطويات فألان لنا بعض قلوب الصالحين والمحسنين فبذلوا بسخاء وقد تجمع بعض المال الذى أشترينا به المواد الغذائية.
وفى المساء وعند هذه القضية بالذات قمت بالتجول مع أبى الحسن بين المخازن التى نصبت سرادقها لتوضع فيها الأغذية (الأرز -- والطحين والعدس ,واللوبيا والسمن). وكانت السيارات الشاحنه الضخمة واقفه أمام هذه الخيام وقد شحنت هذه الناقلات الأغذية, وكانت القافله الأولى تضم ستا وعشرين ناقله كبيرة بدأت مسيرتها عد طلوع الشمس. وأخذت صيحات التكبير من الاخوة العرب تتعالى وتتردد أصداؤها بين السفوح والأودية, وارتفعت الأكف الى السماء ضارعة الى الله أن يحفظ هذه الشاحنات وأن يوصلها على خير. ...
لقد وصلت تلك الشاحنات فعلا -- وعلى خير -- الى الخط الاول للمجاهدي ومنه الى الخط الخلفى لتجار مدينه كابول التى تتعطش لتلك المواد الغذائية بعدما إضطربت عملية المرور عبر ممر سالانج وهو خط الامداد الرئيس وشريان الحياة القادم ن موسكوا الى كابول.
كانت تجارة رابحة للغاية -- للأحزاب الأصولية -- ولكن ليست تجارة مع الله -- بل تجارة مع الشيطان القابع فى القصر الجمهورى بمدينه كابل.
وبالمثل فإن صفقه الملابس العسكرية سالفه الذكر, ذهبت هى الاخرى بالكامل تقريبا الى تجار الملابس المستعملة فى باكستان, ربما بأقل من عشر قيمتها الحقيقه, كى يعاد بيعها بعد ذلك لمن أراد فى أسواق قد أزدهرت لمثل تلك التجارة فى بشاور والمناطق الحدودية, وحتى قرب العاصمة إسلام آباد.
خربى الذمه فى صفوف المنظمات الاصولية لم يعزهم الدليل الشرعى فى سرقه وأختلاس اموال العرب الذين هم ليسوا سوى "وهابيون كفرة, وحمير تحمل اكياس من المال, فليحمدوا الله أننا لم نقتلهم"... وقد قام البعض يقتل وسرقه العرب فى الجبهات, ولكن بفضل الله, كانت حوادث فرديه وقليله جدا.
ولكن كارثه فرخار كان ضربه للعمل الجهادى فى أفغانستان, من حيث التوقيت والاثر النفس والضجة الاعلامية الشرسه.
وكانت حادثه فرخار عبئا نفسيا ثقيلا على نفس الدكتور عبد الله عزام, الذى كان استشهاده نجاه له من هموم ومصائب تفوق احتمال البشر.